وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة الشّيخ الشّهيد العربيّ التبسّيّ
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربيّ

العنـــــــوان :

الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة (الأفعال الأدائيّة)
بين البلاغة العربية واللّسانيات التداوليّة
دراسة – في ضوء نظرية الأفعال الكلامية –
لنماذج من فنّ الخطابة عند البشير الإبراهيميّ

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربيّ

تخصّص : لسانيات عربيّة

إعداد الطّالبة:
جنة ربيعة

إشراف الدكتور :
كمال الدين دويشين

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
الطّاهر عبد الرزّاق	أ. مساعد أ	رئيسا	جامعة الشيخ الشّهيد العربي التبسي – تبسّة
كمال الدين دويشين	أ. مساعد أ	مشرفا ومقررا	جامعة الشيخ الشّهيد العربي التبسي – تبسّة
رشيد سهلي	أ. التعليم العالي	مناقشا	جامعة الشيخ الشّهيد العربي التبسي – تبسّة

السّنة الجامعيّة : 2024 م / 2025 م


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر وعرفان:

إلى من إرتبط إسمي بإسمه و قدري بقدره , و ثق بي ووقف بجانبي و أمسك بيدي لأتمكن من الوقوف ها هنا زوجي و رفيق دربي

لطرش أحسن

إلى من أحن إليها و هي بقربي و أشتاق لرؤيتها في كل ثانية و أحس بأنني لا أزال صغيرة بقربها أمي و نبع الحنان

لطرش دزاير

إلى بسمة القلب و ماسحة الدمع من العين أختي و صديقتي من تقف بجانبي دون طلب

جنة سناء

إلى سندي الأول و المقترن إسمي بإسمه

جنة حوسين

إلى بسمة حياتي و قرت عيني أبنائي

ريماس , يحي , سمية



إهـــــداء

إلى الغائب عنا جسدا و الحاضر روحا أخي و حبيب قلبي **جنة أمين**

إلى أخي جنة محسن و زوجته و أبنائه : أمين , صالح , علي , محمد

إلى أختي نسرين و زوجها و أبنائها : أدم و سيف

إلى زوج أختي سناء بعيو نصر الدين

إلى خالي و والد زوجي الغائب الحاضر بمواقفه لطرش الزواري

إلى خالاتي : عائشة , فطيمة , بركانة , حدة و الغائبة بشطولة

و جميع أبنائهم و بناتهم

إلى خالي محمد و زوجته و أبنائه

إلى عماتي : فاطمة و حفيزة و جميع أبنائهم و بناتهم

إلى أعمامي و زوجاتهم و جميع أبنائهم و بناتهم

إلى أختي الكبرى حياة و زوجها رايس رشيد و أبنائها و بناتها

إلى جاراتي و صديقاتي و كل أحبابي و معارفي

إلى السيد المدير : جدواني نجيب و كل طاقم مدرسة إبتدائية مناصرة قدور

إلى كل من وقف بجانبي و لو بكلمة أو إبتسامة



مقدّمـــــــــــة

الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاة و السّلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، أمّا بعد :

شهدت اللسانيات في القرن العشرين ثورة فكرية تمثلت في ظهور التداولية (pragmatics) ، كعلم يهتم بدراسة معنى اللغة في سياق استعمالها وكسر القيود التي فرضتها اللسانيات البنيوية ، فبينما ركزت البنيوية على بنية اللغة الداخليّة وأنظمتها المجردة وتجاهلت السّياق والمرسل والمتلقي ، جاءت التداولية لتثور على هذا التجريد.

وتعتبر التداولية حجر الزاوية في فهم البلاغة العربيّة، فهي تعيد إحياء الاهتمام بالأساليب البلاغية، والتأكيد على دورها في تحقيق التأثير والتأثر الواقع بين المتكلم والمستمع، فالبلاغة العربية تهتم بالسياق والفاعل والمتلقي والمعنى الضمني، وهذا يتوافق تماما مع أهداف التداوليّة.

وبغية الكشف عن وشائج التلاقي بين التّداوليّة والبلاغة العربيّة، جاءت دراستنا موسومة بـ : " الأفعال الإنشائية الطلبية (الأفعال الأدائية) بين البلاغة العربيّة واللسانيات التداولية – دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلامية لنماذج من خطب البشير الإبراهيمي " .

وتنطلق هذه الدّراسة من الإشكاليات التاليّة :

- أين تكمن معالم المنحى التّداوليّ في خطب محمّد البشير الإبراهيميّ ؟
- ما هي الآليات التي اتّبعها البشير الإبراهيميّ في تطبيق استراتيجيته التوجيهيّة باعتباره رجل إصلاح وخطيبا بليغا ؟
- ما مدى حضور الأفعال الكلامية في خطب البشير الإبراهيميّ، وما حظ الأفعال الأدائيّة منها ؟
- هل حقّقت هذه الأفعال الكلاميّة الواردة في خطب الإبراهيميّ الأغراض الإنجازيّة التي استهدفها الخطيب ؟

كما تنطلق هذه الدّراسة من الفرضيات الآتية :

– للعرب فضل السَّبْق في تناول مباحث التداولية الحديثة ضمن مباحث ما يُصطلح عليه بـ " عل المعاني "؛

– التداوليّة كمنهج لسانيّ حديث كفيل بدراسة اللغة في حيّز الاستعمال ، متجاوزة الدلالات الوضعية للغة، آخذة بعين الاعتبار المقامات التي ينجز فيها الخطاب، والأغراض التواصلية ومقاصد الخطاب من جهة ثانية؛

– المنهج التداوليّ كفيل بالكشف عن مقاصد الخطيب، باختلاف موضوعات الخطبة وسياقاتها؛

– لأفعال الكلام حضور لافت في خطب البشير الإبراهيميّ ، محققة العديد من الأغراض الإنجازية التي تختلف وتتعدّد باختلاف وتعدّد السّياقات التي وردت فيها.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، استهْدَتْ هذه الدّراسة بهَدْيِ المنهجيين: المنهج التداوليّ بأدواته الإجرائيّة المعروفة، والمنهج الوصفيّ المناسب لوصف بنية الخطاب عند البشير الإبراهيميّ والكشف عن خصائصها، كما استعانت بآلية التحليل للكشف عن مضامين الخطاب الإبراهيميّ ومقاصده وأغراضه الإنجازيّة.

– أسباب اختيار الموضوع :

وتعود أسباب اختيار موضوع الدّراسة إلى سببين اثنين :

– سبب موضوعيّ علميّ بحت، حيث تقترح هذه الدراسة معالجة منهج لساني حديث لا زال بكرا خاصّة من قبل الباحثين الجزائريين، وتطبيقه على مدوّنة أدبية لخطيب فذّ من خطباء الجزائر، وهو محمّد البشير الإبراهيميّ، يضاف إلى ذلك أنّ آثار هذه القامة العلميّة الأدبيّة لم تأخذ حقّها من الدّراسة، على يد أعلام وباحثين جزائريين.

– سبب شخصيّ، يتمثل في كون هذه الدّراسة تستجيب لاهتماماتي الدّراسيّة وتنسجم مع التخصّص الدراسيّ (اللّسانيات العربيّة) الذي اخترته.

- أهميّة الدّراسة وأهدافها :

تكمن أهمية هذه الدّراسة في محاولتها دراسة النصّ الخطابيّ الجزائريّ، والكشف عن مضامينه وأبعاده ومقاصده من منظور تداوليّ، مستثمرة أحد مضامين الدّرس التداوليّ، وهو أفعال الكلام حسب تصنيف **سيرل**، سعيًا إلى استنطاق الخطاب الإبراهيميّ، الدينيّ والسّياسيّ والاجتماعيّ والتربويّ، كشفًا عن الآلية المعتمدة لتحقيق الأغراض الإنجازية التي يرُومُها.

- هيكل الدّراسة :

وللإجابة عن إشكاليات البحث واختبار فرضياته، ارتأت الباحثة تقسيم البحث إلى فصلين، يسبقان بمقدّمة ويختمان بخاتمة. جاء الفصل الأوّل موسوما بـ : " مفاهيم في التداوليّة والبلاغة العربية القديمة "، وقُسّم إلى مبحثين : تناولنا في إطار المبحث الأوّل : التعريف بالتداولية لغة واصطلاحا، من خلال طائفة من تعريفات الدارسين الغربيين والعرب لها، وتعريفا بمباحثها (متضمّنات القول، الإشاريات، الاستلزام الحواري، أفعال الكلام) ، وخصّص المبحث الثاني لنظريّة أفعال الكلام في الدّرسين اللغويين الغربيّ والعربيّ.

أمّا الفصل الثاني، فخصّص للجانب التطبيقيّ الصّرف، حيث تناولت في ظلّه تتبّع الأفعال الكلاميّة الأدائيّة (الطلبية) في بعض خطب البشير الإبراهيميّ، كاشفة عن الأدوات التي وظّفها والأغراض الإنجازيّة التي حققتها.

وخَصَّصْتُ الخاتمة، لاستخلاص أهمّ النتائج التي كشفت عنها هذه الدّراسة والتعقيب على الفرضيات التي انطلقت منها.

وقد استهدت هذه الدّراسة بطائفة من المصادر والمراجع، نورد منها على سبيل الذكر لا الحصر:

- المقاربة التداولية، فرنسواز أرينقو، تر : سعيد علوش ، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، لآن رويول وجاك موشلار.

– اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بحيري، آفاق جديدة في البحث اللغوي، لأحمد محمود نحلة، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، للعياشي أدراوي، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداوليّة، التداولية عند العلماء العرب، لمسعود صحراوي.

كما استثمرت هذه الّدراسة بعض المؤلفات التراثية، نذكر منها : " شرح المفصّل " لابن يعيش، " مختصر المعاني " لسعد الدين التافتازاني، " الإيضاح في علوم البلاغة " للخطيب القزويني، " الطراز " ليحي بن حمزة العلويّ.

– صعوبات الدّراسة :

لعلّ من الصعوبات التي اعترضت هذه الدّراسة، قلّة الدّراسات التطبيقيّة الصّرفة التي تناولت موضوع الأثر التداوليّ للأساليب الطلبيّة (الأدائيّة)، وخاصّة تلك التي اهتمّت بتطبيق هذا المنهج اللسانيّ الحديث على مدوّنات من الأدب الجزائريّ، يضاف إلى ذلك عزوف الباحثين عن تناول آثار البشير الإبراهيميّ بالدّراسة العلميّة من خلال تطبيق المناهج اللّسانيّة.

وفي الأخير نحمد الله عزّ وجل على توفيقه لنا في استكمال بحثنا متوجهين بالشّكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور " **كمال الدين دويشين** " لما لقيته من رحابة صدر وحسن توجيه، فله ألف شكر وألف تحية على مجهوداته التي بذلها حيث لم يبخل فكان العطاء والمعطاء.

الفصل الأوّل

مفاهيم في اللّسانيات التّداوليّة والبلاغة العربيّة القديمة

المبحث الأوّل : ماهية التّداوليّة

تمهيد :

التداوليّة منهج لسانيّ حديث، قام على أنقاض الاتجاه البنيويّ الذي يهتمّ بالدراسة الشكلية للنصّ، فهي – التداولية – تهتمّ في دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية، كالمتكلم ومقاصده، بصفته المحرك لعملية التواصل، مع مراعاة حال السامع في أثناء الخطاب، والعناية بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضمانًا لتحقيق التواصل من جهة، وللاستفادة منها في الوصول إلى غرض المتكلم ومقصده من كلامه من جهة أخرى.

المطلب الأوّل : التّداوليّة لغة واصطلاحا

أ– التّداوليّة لغــة :

يعود مصطلح " تداولية " في أصله العربي إلى الجذر (دول)؛ فقد ورد في معجم لسان العرب : دَوَلَ : << تداولنا الأمر أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودَالَت الأَيامُ أَي دَارَت، وَاللَّهُ يُداوِلها بَينَ النَّاسِ. وتَداوَلَتهُ الأَيدي: أخذته هَذِهِ مرَّة وَهَذِهِ مرَّة. ويقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرّة وهذا مرّة >>[1].

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ) أنّ << الدال والواو واللام أصلان : أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان ، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة : اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم : إذا صار من بعضهم إلى بعض >> [2] .

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (دول)، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ، ج 11، ص 252 – 253.

[2]– ابن فارس: مقاييس اللغة، تح : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مج 2، ص 314.

وجاء في القاموس المحيط : << ... تداولوهُ : أخَذوهُ بالدُّوَلِ ...ودالَتِ الأيَّامُ : دارت، واللهُ تعالى يُداوِلها بينَ الناسِ. والدَّولُ : لُغَةٌ في الدّلو، وانقِلابُ الدَّهرِ من حالٍ إلى حالٍ ... >> [1] .

وقد وردت اللفظة في محكم التنزيل بصيغة المضارع المسند لضمير الجمع في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران : 140] . ويفسّرها ابن كثير بما معناه أنّ الألم والفرح تارة يكون للمؤمنين وتارة عليهم؛ فيكون الأعداء غالبين وتارة الغلبة للمؤمنين، غير أنّ النصر في الأخير يكون للمؤمنين، يقول بهذا الصدد : << أي نُديل عليكما لأعداء تارة، وإن كانت العاقبة لكم لما لنا في ذلك من الحكم >> [2] .

ووردت اللفظة بصيغ (دُولَة) في قوله تعالى : ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ . [الحشر ، آ 07] .

وفي هذا الصّدد يقول السعدي: << كي لا يكون دولة : أي مداولة واختصاصا بين الأغنياء منكم فإنه لو لم يقدره، لتداولتها لأغنياء الأقوياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء >> [3] .

ومن هنا نتأكد أنّ مفهوم التداولية يتطابق ومعنى الانتقال سواء في الحال أو المال أو الزمان والمكان، وكذا التحول أو التغير.

---

[1]– الفيروزآبادي : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 8، بيروت، لبنان، 2008، ص 1000 – 1001.

[2]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح : سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999، ج 2، ص 127.

[3]– السعدي، عبد الرحمان بن ناصر: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ، تح : عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000، ص 850.

ب- التّداوليّة اصطلاحا :

تعود كلمة (التّداوليّة) في أصلها الأجنبيّ (**Pragmatique**) إلى الكلمة اللاتينية (**Pragmaticus**)، والتي يعود استعمالها إلى عام 1440 م، ومبناها على الجذر (**Pragma**)، ومعناه الفعل (**Action**) ثمّ صارت الكلمة بفعل اللاحقة تطلق على كلّ ما له نسبة إلى الفعل أو التّحقق العمليّ[1].

ومجال التّداولية هو اللّغة التي يستعملها المتخاطبون في وضعية تواصلية ما ؛ فـ " التداولية " "Pragmatique" مصطلحٌ اقترن بحقلٍ معرفيّ جديدٍ، كانتْ له استعمالات في اللاتينية(Pragmaticus) وفي الإغريقية (Pragmaticos) منها استعماله بمعنى "عمليّ، وقد ارتبطت وظيفه في العصر الحديث ببداية ظهوره في الفلسفة الأمريكية "البراغماتية "[2].

ويقترن بهذا المصطلح في الفرنسية معنيان رئيسان هما : " محسوس " و" ملائم للحقيقة " ، أمّا في اللّغة الإنجليزية تدلّ في الغالب على ما له علاقة << فإنّ كلمة (Pragmatic) تدلّ في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية >> [3]، وكلّ هذه المفاهيم لها علاقة بما يقتضيه هذا الحقل.

ونتيجة لتعدّد المنطلقات واختلافها في الدّراسة التّداوليّة حدث نوع من التّداخل أدّى إلى تنوّع التّسميات، وخصوصا في ترجمتها إلى اللّغة العربية؛ منها : مصطلح " البراغماتية "، ومصطلح "علم التّداولية "، ومصطلح "علم المقاصد "، ومصطلح

---

[1]- نواري سعودي أبو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط 1، 2009، ص 18.

[2]- ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 1، 2008ن ص 09.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 9.

" المقامية "، ومصطلح السّياقية "، ومصطلح" الإفعاليّة "، وغيرها من المصطلحات التي هي في حقيقتها تكرّس الفوضى المصطلحية، ومن ثمّ كان من الضروريّ الأخذ بالمصطلح المشهور لدى الباحثين في هذا المجال؛ وهو " التّداولية ".

ويعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي " تشارلز ساندرس بيرس " (839 – 1914)، بينما يرجع أوّل استعمال لمصطلح التّداوليّة إلى الفيلسوف " تشارلز موريس " وذلك سنة 1938[1].

وفي الدّرس اللّسانيّ العربيّ، اختار " طه عبد الرحمن " مصطلح " التداولية " مقابلا لـ : PRAGMATIQUE، وعن هذا يقول: << وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح " التداولية " مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)، لأنه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيين " الاستعمال " و" التفاعل " معا، ولقي من ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يُدرجونه في أبحاثهم>>[2]،

ج- تعريف التداولية عند أعلام الدرس التداولي :

أوّل تعريف اصطلاحيّ وضع للتداوليّة كان على يد الفيلسوف شارل موريس Charles Morris حيث عرّفها في مقال له فقال : << التداوليّة جزء من السيميائية Semiotics التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات>>[3]، إذ قام بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائيّة، من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع يشتمل عليها علم العلامات، وهي :

---

[1]– ينظر: الزواوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2007، العدد 3، المجلد 35، ص 99.

[2]- طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2000، ص 27.

[3]– فرانسواز أرمينغو : المقاربة التداولية، تر : سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص 12.

1- النّحو أو التراكيب- Syntax أو Syntactics : وهو دراسة العلاقات الشكليّة بين العلامات.

2- الدّلالة – Semantics : وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤوّل إليها هذه العلامات.

3- التداولية – pragmatics : وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها ومؤوليها وبهذا يكون " تشارلز موريس" ميّز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي علم التراكيب وعلم الدلالة والتداولية التي تعنى بالعلاقة بين العلامات ومستخدميها[1].

وأورد لها **فان ديك** في كتابه " علم النصّ " التعريف الآتي : << تختص البرجماتية بوصفها علما بتحليل الأفعال الكلامية، ووظف منطوقات لغوية وسمائها في عمليات الاتصال بوجه عام. هذا العلم [...] له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى . وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنتروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا>>[2].

والتداولية عند مؤسّسها" أوستين " (Austin) : << جزءٌ من دراسة علم أعمّ، هي دراسة التّعامل اللّغويّ من حيث هو جزء من التّعامل الاجتماعيّ، وبهذا التعريف ينتقل "أوستين " باللغة من المستوى اللّغويّ والنّحويّ والنّفسيّ للّغة، إلى المستوى الاجتماعيّ ودائرة التّأثير والتأثّر، من خلال استعمال اللغة لتحقيق التّواصل >>[3].

فالتّداولية تدرس الاتّصال اللّغوي في إطاره الاجتماعيّ، والذي يفترض وجود خصوصيات .

---

[1]- ينظر: آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 3، 2001، ص 29.

[2]- فان ديك : علم النص، تر : حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط 1، 2001، ص 114.

[3]- راضية خليف بكري: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 399، تموز 2004م، ص 21.

وتعرّف" فرانسواز أرمينغو " التداولية << بأنها تعني دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية >>[1].

ويعرّفها " بول إيلوار – Paul Eluard " بأنها : << إطار معرفيّ يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دولا فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي :

- ✓ المتكلمون (المتكلم والمخاطب).
- ✓ السّياق (الحال / المقام).
- ✓ الاستعمالات العادية للكلام، أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع>> [2] .

والمفاهيم السّابق ذكرها تتجلّى في قول" فرانسيس جاك " الذي يرى أنّ التّداولية << تتطرّق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا >> [3]؛ فالتداولية تدرس اللغة في أثناء اسنعمالها واسنخدامها في سياق النخاطب، فتقوم بمراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب بحسب قصد صاحبه، كما تبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته الموقف التواصلي الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له.

وفي هذا الإطار يقول " صلاح فضل " : << فالتّداولية إذنْ تعنى بالشّروط والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به؛ أي العلاقة بين النّص والسّياق >>[4].

---

[1]– فرانسواز أرمينغو : المقاربة التداولية، ص 62.

[2]– محمد الأخضر صبحي : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاتها، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008، ص 49 – 50.

[3]– أرمينيغو، المقاربة التداولية، ص 09.

[4]– صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النصّ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، ص 24 – 25.

كما يذكر الباحث " جيلال دلاش" أنّها : << تخصص لسانس يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لنلك الخطابات والأحاديث>>[1]، ثمّ يردف كلامه بإجمال تعريف التداولية في قوله : << هي لسانيات الحوار أو الملكة النبليغية >>[2] .

وذكر" **محمود نحلة** " في تعريف التّداولية أنّها: << دراسة اللّغة في الاستعمال أو التّواصل، وعلّل اختياره لهذا التّعريف بأنّه << يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، ولا السّامع وحده، فصناعة المعنى تتمثّل في اللّغة بين المتكلّم والسّامع في سياق محدّد (ماديّ واجتماعيّ ولغويّ) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما>>[3].

أمّا الباحث "مسعود صحراوي" فيقول:<< التّداوليّة علم جديد للتّواصل، يدرس الظواهر اللّغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة التّواصل اللّغوي وتفسيره>>[4].

ويعرّفها عبد الحميد السيد بأنها : << اتجاه في الدراسات اللسانية يُعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق>>[5].

---

[1]– جيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر : محمد يحياتن، د، م، ح، 1992، ص 1.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، 2002، ص 14.

[4]– مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 16.

[5]– عبد الحميد السيد : دراسات في اللسانيات العربية، التراكيب النحوية والتداولية، دار الحامد، عمان، الأردن، 2003م. ص 119.

يتّضح ممّا سبق أنّ التداولية تختصّ بدراسة اللّغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التّخاطب؛ إذ تهتم بدراسة المعنى الكامن للكلمات بين مستعمليها ومتلقيها في سياق محدد، متجاوزة بذلك مستوى الوصف إلى مستوى أكثر عمقا وتحديدا، هادفة إلى استيعاب الأبعاد التواصليّة للظاهرة اللغويّة.

المطلب الثّاني : مباحث التّداوليّة

يكاد الباحثون يجمعون على أنّ التّداوليّة تقوم على شبكة من المقاهيم، من أبرزها :

- متضمّنات القول – Les implicites
- الإشاريات – Les implicites
- الاستلزام الحواريّ – L'implication conversationnelle
- أفعال الكلام – Les actes de langage

1- متضمنات القول- Les Implicites :

متضمّنات القول- **Les Implicites** مفهوم تداوليّ إجرائيّ يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية، وخفية من قوانين الخطاب، ذلك أنّ المتلفظ بالخطاب قد يلجأ أحيانا إلى عدم التصريح بكلامه نتيجة ظروف معينة يخضع لها في حمل على التلميح بكلامه إلى أشياء غير مصرح بها ولكنها متضمنة في القول. وقد يكون سبب التلميح عدد من المحظورات التي تمنع المتلفظ بالخطاب من التصريح المباشر، وهذه المحظورات قد يكون مصيرها المجتمع بما يحتويه من عادات وتقاليد ودين أو سياسة بها تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره. ومن أهمّها :

أ- الافتراض المسبق[1] pré-supposition :

يتوقّف نجاح التواصل اللّسانيّ بين المتكلم والمتلقي على معطيات وافتراضات مسبقة معترف بها، ومتفق عليها بينهم، وهي محتواة ضمن السياقات، والبنى التركيبية العامة. ففي الملفوظ (1) مثلا: افتح الباب، وفي الملفوظ (2) : لا تفتح الباب، وفي الملفوظين كليهما خلفية افتراض –مسبق مضمونها أنّ الباب مغلق.

[1]– بوادي، محمد : خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم – مقاربة تداولية، أطروحة دكتوراه، تخصص: معجمية وقضايا الدلالة، جامعة سطيف، 2016، ص 38.

ويرى التداوليون أنّ الافتراضات المسبقة، أو الإضمارات التداولية بتعبير " طه عبد الرحمن " ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليمات تمّ الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتمّ الانطلاق منه، والبناء عليه.[1]

ب- الأقوال المضمرة - les sous-entendus :

هي النّمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب، ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدّد على أساس معطيات لغوية. تقول أوركيوني **kerbrat Orecchioni** : << القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكنّ تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث>>[2].

ومثال ذلك قول القائل : إنّ الطّقس ممطر.

إنّ السّامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أنّ القائل أراد أن يدعوه إلى: المكوث في بيته، أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد، أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر، أو عدم نسيان مظلته عند الخروج. فقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدّد السياقات، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب. والفرق بينه وبين الافتراض المسبق أنّ الأوّل وليد السّياق الكلاميّ المتنامي تدريجيّا، والثاني وليد ملابسات الخطاب.

2- الإشاريات-Dialectic :

الإشارة في كلّ اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا تامّا على السّياق الذي تستخدم فيه ولا يُستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه[3]، كما يمكن القول : إنّها تمثّل العلاقة القائمة بين المتحدثين، وعلى نحو أعمّ بين القائمين بعملية التحدّث وبين ما يتحدثون عنه في

---

[1]- مسعود صحراوي : التداولية عند علماء العرب، ص 45.

[2]- محمد بوادي : خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم، ص 39.

[3]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص 15 - 16.

مناسبات معيّنة، ويتحدّد مدى الإشارة للتعابير المؤشّرة، بمعنى هذه التعبير في اللغة (أي بواسطة معناها ودلالتها)، إلّا أنّ إشارتها الحقيقية تعتمد على مجموعة متنوعة من العوامل السّياقيّة[1].

ونمثّل لذلك بالمثال التالي : إذا قرأت جملة متقطعة من سياقها مثل : " سوف يعودون غدا، لأنّ الطّريق غير آمن "، وجدتها شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تامّا على السياق المادي الذي قيلت فيه، ومعرفة المرجع Référence الذي تحيل إليه.

والإشاريات خمسة أضرب: إشاريات شخصيّة، وإشاريات زمانيّة، وإشاريات مكانيّة، وإشاريات اجتماعيّة، وإشاريات خطابيّة أو نصيّة.

أ- الإشاريات الشخصيّة :

أوّل العناصر الإشارية الدّالة على شخص Person << هي ضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصيّة الدّالّة على المتكلّم وحده، مثل " أنا " أو المتكلم ومعه غيره مثل " نحن "، والضمائر الدّالّة على المخاطب مفردا أو مثنّى أو جمعا، مكّرا أو مؤنّثا >>[2].

فهذه الضمائر عناصر إشاريّة لأنّ مرجعها يعتمد اعتمادا كليّا على السّياق الذي تستخدم فيه، << أمّا ضمائر الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حرّا أي لا يعرف مرجعه من السّياق اللغويّ، فإذا عُرف مرجعه من السّياق اللغويّ خرج من الإشاريات >>[3].

---

[1]- ينظر: جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة : عباس صادق الوهاب، مراجعة : يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1987، ص 243 – 244.

[2]- محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 17 – 18.

[3]- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغويّة تداولية، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2004، بيروت، لبنان، ص 82.

وقد ينشأ نوع من اللّبس في استخدام الضّمائر<< فإذا تعدّدت مراجعها أو تبادل كلّ من المتكلم والمخاطب أدوار الكلام فأصبح المتكلم مخاطبا والمخاطب متكلما، أو نقل متكلم كلاما لمتكلم آخر، كأن يقول رجل : قال زيد : **أنا قادم الليلة / هو قادم الليلة.** وقد جعل ذلك بعض اللغويين يفرّق بين المتكلّم والمصدر Source الذي ينقل كلاما كلّف بنقله إلى آخر >>[1]، فغموض الكلام أو الوقع في اللبس يرجع إلى ضعف القرينة التي تعين على تحديد المرجع.

ب- الإشاريات الزّمانيّة Temporal Deictics :

هي كلمات تدلّ على زمان يحدّده السّياق بالقياس إلى زمان التكلّم. فزمان التكلّم هو مركز الإشارة Deictic Center الزّمانيّة في الكلام.

ومن أجل تحديد << مرجع الأدوات الإشارية الزّمانيّة وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ فيتّخذها مرجعا يحيل عليه ويؤوّل مكوّنات التّلفظ اللغويّة بناء على معرفتها كما في خطاب صاحب المتجر التالي: " سأعود بعد ساعة"، فلا يستطيع المرسل إليه أن يتنبّأ بالوقت الذي سيعود فيه. وبغض النظر عن تحقّق الوعد، فإنّه يلزم معرفة لحظة التلفّظ كي يبني توقعه عليها، فقد يكون التلفّظ حادثا قبل عشر دقائق، أو نصف ساعة...ويبقى الأمر عندها مجرّد تخمينات، فالعبارة لا تقدّم مرجعا زمانيّا يمكن أن يسهم في تحديد زمن العودة >>[2].

ج- الإشاريات المكانيّة Spatial Deictics

الشّيء الذي يحدّد المكان (القرب، البعد، الخلف، الأمام...) هو وضعية المتكلّم في لحظة الحديث وكذا إشارته[3]. ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسّروا كلمات

---

[1]- المرجع نفسه، ص 82.

[2]- المرجع السابق، ص 83 – 84.

[3]- ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، (د ط)، 2005، ص 113.

مثل << هذا وذاك، وهنا وهناك ونحوها إلّا إذا وقفول على ما يشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السّياق المادي المباشر Physical Context Immediate الذي قيلت فيه، ومثل هذه التعبيرات أمثلة واضحة على أنّ أجزاء من اللغة لا يمكن أن تفهم إلّا في إطار المعنى الذي يقصده المتكلّم Speaker Intended Meaning>>[1].

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة نحو << هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلّم، وكذلك : هنا وهناك، وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان، مثل : فوق وتحت وأمام وخلف، وكلّها عناصر يُشار بها إلى مكان لا يتحدّد إلا بمعرفة موقع المتكلّم واتّجاهه >>[2].

د- الإشاريات الاجتماعيّة Social Deictics :

هي عناصر لغوية تبيّن لنا العلاقات الاجتماعية بين الناس من حيث عدة اعتبارا؛ فهناك إشارات نوظفها مع من هم أكبر منّا سنّاً ومقاماً، وعبارات نستعملها مع من نكنّ لهم احتراما لمكانتهم الاجتماعية وأخرى نوظّفها في الخطاب الرسمي، وهناك ألقاب التّقدير والتّبجيل، نحو (حضرتك، وسعادتك، وسيادتك، ومعالي الوزير...)، وغير ذلك من الإشارات الاجتماعية التي نجدها مشتركة بين اللّسانيات التّداولية واللّسانيات الاجتماعيّة.[3]

3- الاستلزام الحواريّ-Conversation allmplicature :

ظهر مفهوم الاستلزام الحواري على يدي هربرت بول غرايسH. Paul Grice، وكانت نقطة البدء عنده << هي أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد

---

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 21 – 22.

[4]- المرجع نفسه، ص 22.

[3]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 19.

يقصدون أكثر مما يقولون. وقد يقصدون عكس ما يقولون فجعل كلّ همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال...وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية...وما يقصده وما يريد المتكلم أن يبلغه إلى السّامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال >>[1]؛ لذلك عرّف الاستلزام الحواري بأنه : << المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة>>[2]، وبأنّه : << ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر>>[3].

والاستلزام عند غرايس نوعان :

– استلزام عرفي قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت السياقات.

– استلزام حواري متغير دائما ولا يمكن أن توضع له ضوابط وقواعد محددة، على اعتبار أنّ الكلام يتغير بتغير السّياق الذي يؤدى فيه، ويرتبط ارتباطا وثيقا بلحظة الخطاب[4] .

4– أفعال الكلام– Speach Acts :

يعدّ " الفعل الكلاميّ Acte de parole أحد المفاهيم الأساسية التي قامت عليها نظرية الأفعال الكلامية، ويعود الفضل في التنظير له ودراسته إلى الفيلسوف " أوستين Austin" الذي استطاع أن يقدّم مفاهيم دقيقة حول طبيعته، وخصائصه، ومكوناته، وأبعاده الإنجازية، وأصنافه، ثمّ طوره علماء آخرون مثل" سيرلSearl" و"ريكانتي Recanati" و"غوفمان Goffman" و" أوركيونيOrecchioni" و"هابرماسHabermas" وغيرهم.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 33 .

[2]– العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011، ص 18.

[3]– المرجع نفسه، ص 18.

[4]– ينظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص 33، والعياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 39.

المبحث الثّاني : نظريّة أفعال الكلام في الدّرس اللغويّ الغربيّ وفي الدّرس العربيّ

تمهيد :

تعدّ نظرية الأفعال الكلامية أهمّ النظريات التي قامت عليها التداولية في الدّرس اللّسانيّ الحديث، وقد تبلورت العديد من المفاهيم التداولية في حقل الدراسات اللسانّية من خلال نظرية أفعال الكلام، فاعتناء التداولية بعلاقة النشاط اللغويّ بمستخدميه، ودراستها لعملية التوظيف الناجح للعلامات اللغوية، ومراعاتها للمقام وعناصره في العملية التواصليّة جعل نظرية أفعال الكلام تحظى بالاهتمام والتطوير من لدن العلماء، باختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم العلمية.

المطلب الأوّل : نظريّة أفعال الكلام في الدّرس اللّغويّ الغربيّ

تنتمي نظرية الأفعال الكلاميةSpeech Act Theory إلى النظرية التداولية، وهي أحد أهمّ مكوناتها، وهي مقاربة فلسفية لبعض القضايا التي تثيرها اللغة الإنسانية، ويعود الفضل في تعميق الفهم بالأفعال الكلامية إلى الفيلسوف الإنجليزي أوستينJ.L.Austin في كتابه " How To Do Things With Words "، وهو عبارة عن اثنتي عشرة محاضرة ألقاها بجامعة هارفرد حول فلسفة وليم جيمس (The William James Lectures) توخّى منها وضع بعض أسس الفلسفة الإنجليزية موضع السؤال والتشكيك خاصة ما يتعلق بوظيفة " اللغة "[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه النظرية ولدت من رحم الفلسفة التحليليّة، فقد كان أوستن فيلسوفا من فلاسفة اللغة العادية، ثم تأثّر بآراء فنجشتاين الذي رأى بأنّ وظيفة اللغة لا

[1]– ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ص 87.

تقتصر على وصف الواقع بل للّغة وظائف عديدة، كالأمر والاستفهام والتمنّي والشّكر، والتهنئة والقسم والتحذير...إلخ [1].

وقد ترجمت العبارة الإنجليزية **Speech ActTheory** أو العبارة الفرنسية **La théorie de Acts** إلى عدّة ترجمات في اللغة العربية منها : نظرية أفعال الكلام أوالفعل الكلامي، نظرية الأعمال الكلامية أو اللغوية، نظرية الحدث الكلامي أو اللغوي، والنظرية الإنجازية.

لقد نشأت فكرة " أفعال الكلام " من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة ، وهو << أنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعيّ معيّن في الوقت نفسه >> [2] . وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما وهو مقياس الصدق والكذب[3]، ممّا حصر العبارات اللغويّة في منوال واحد هو " العبارات الخبريّة "، كأن تصف واقعا ما، ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع.

ولقد مرّت نظرية أفعال الكلام بمرحلتين أساسيتين، بناء على جهود مؤسّسيها الأوائل ثم من جاء بعدهم وساهموا في تطوير جهود أساتذتهم :

أ- مرحلة التأسيس والنشأة عند ج. ل. أوستين Austine

يعدّ أوستن المؤسّس الفعليّ لهذه النظرية خاصة حين أوصى بوجوب مراعاة الجانب الاستعمالي للغة طبقا لمقامات التخاطب، إذ بينت لديه أنّ اللغة ليست مجرد أداة نقل

---

[1]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 40 – 41.

[2]- فان ديك، علم النصّ، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بحيري، ط 1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، 1421 هـ – 2001م، ص 118.

[3]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2009، ص 89 – 90.

الأفكار ووصف الأشياء، وإنّما هي ميدان ننجز فيه **أعمالا Actes**، لا تنجز إلا في اللغة، وباللغة.

وقد كان هدف أوستن في البداية أن يتعدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية والمهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة. فانطلق في تفسير نظريته من انتقاد الفكرة السابقة التي تعتبر أنّ كل الأقوال يمكن إخضاعها لمعيار الخطأ أو الصواب، ويرى نتيجة لذلك أنّ هناك أساليب وتعابير لغوية لا يمكن وصفها بأنها خاطئة أو صائبة، بل إنّنا حين نتلفظ بها نكون قد أنجزنا في الوقت نفسه فعلا اجتماعيا سمّاه أوستن "**الفعل الكلامي SpeachActs**" .[1]

لقد ميّز" أوستن " في مرحلته الأولى بقصد دراسة اللغة مؤسّسا لاتجاه جديد أطلق عليه اسم: **فلسفة اللغة العادية** التي تعتمد على مفاهيم ثلاثة هي : << الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة >>[2].

فميّز بين نوعين من الأفعال[3] :

1- الأفعال الإخباريّة (التقريريّة) Actes Constatifs:

وهي التي تخبر عن وقائع العالم الخارجيّ وتكون إمّا صادقة أو كاذبة، وقد آثر أن يعدل عن تسميتها أفعالا وصفية Descriptifs لأنّه ليس كل ما يقبل الصدق والكذب وصفيّا، وأخرى تنجز بها في ظروف ملائمة أفعالا او تؤدى، وقد أطلق عليها مصطلح الأفعال الأدائيّة.performatifs

---

[1]- ينظر: جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة : عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 1987، ص 191.

[2]- خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية، ص 51.

[3]- خلوفي قدور: مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني – سورة الكهف أنموذجا، أطروحة دكتوراه في تخصص اللسانيات التداولية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014 – 2015، ص 21.

2- الأفعال الأدائيّة (الإنجازيّة) Actes Performatifs :

وهو فعل لا ينسحب عليه معيار الصدق أو الكذب؛ بل هو فعل أدائيّ يتحقق إنجازه أثناء النطق به، أي أنّ القول " Dire " هو أحيانا أداء للفعل " Faire ".

ولا يمكن أن تتحقّق هذه الأفعال الأدائية إلا وفق شروط معيّنة، هي كالآتي[1] :

- ✓ أن يكون الفعل منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية، مثل: أمر، سأل، نصح، حذر، شكر، قرّر، انتقد، وعد، اعتذر...إلخ.
- ✓ أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم أي المتلفظ والمنجز للفعل في الوقت ذاته.
- ✓ أن يكون زمن دلالتها الفعل المضارع. ولذلك فإنّ ما يجب أن يكون عليه شعورنا هو أن نحاول القول بانّ كلّ عبارة إنشائيّة، على الحقيقة، ينبغي ردّها أو التصريح بالمتضمن فيها أو تحليلها على وجه آخر أو تحليلها بتوليد صورة أخرى منها على النّحو التالي: عبارة ذات فعل مضارع للمتكلّم المفرد المبنيّ للفعل هذا كلّه اصطلاح النّحو.

وفي مرحلة من مراحل تطور نظرية الأفعال الكلامية راجع" أوستن "وعدّل في التقسيمات التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية، وذلك حين رأى أنّ الفعل الكلاميّ مركّب من ثلاثة أفعال، تشكل كيانا واحدا، وتؤدّي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلاميّ، من منطلق ذلك الهاجس الذي كان يشغل " اوستن "هو الجواب عن السؤال : **ماذا نفعل عندما نتكلم؟**

إنّ ما نصنعه يتجلّى في ثلاثة أعمال تعدّ جوانب مختلفة لعمل خطابيّ كامل تختزل مختلف الوظائف اللسانية على النّحو التالي[2]:

---

[1]- المرجع السابق، ص 22.

[2]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 88.

1. عمل القول – L'Acte de locution

ويسمّى فعل القول أو الفعل الصوتيّ أو اللفظيّ، أو الفعل اللغوي ويراد به التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح ...أو في أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول أو تركيب لألفاظ في جمل مفيدة طبقا للأفعال الفرعية الثلاثة الآتية: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، الفعل الدلاليّ.

2. عمل مقصود بالقول– L'Acte d'illocution :

ويسمّى الفعل المتضمن في القول أو الفعل الغرضيّ أو الإنجازيّ، ويقصد بهما يؤدّي بها لفعل اللفظيّ أو الصوتيّ من وظيفة في الاستعمال، إذ غاية المتكلم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر، الاعتراض، الموافقة، القبول، النصح، ...فلذلك يعد هذا الفعل لبّ نظريّة الأفعال الكلاميّة.

3. عمل التأثير بالقول– L'Acte Perlocution :

وتسمّى الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول التأثيري **L'Acte Perlocutionnaire** ، وهو ما يتركه الفعل الإنجازيّ من تأثير في السامع أو المخاطب، سواء أكان التأثير جسديا أمفكريا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف، أو تغيير رأي أو القيام بعملها...

ويعدّ الفعل **الإنجازي** ركيزة الأفعال الكلامية عند" أوستن" حتى سمّيت نظريته **بالنظرية الإنجازية**، نظرية الفعل الإنجازي، وهذا الفعل يرتبط مقصد المتكلم **(القصدية– Intention)**، ويلعب دورا مركزيا في نظرية أفعال الكلام.[1]

[1]– آمنة لعور، الأفعال الكلامية في سورة الكهف، مذكرة ماجستير، شعبة دراسات لغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011، ص 70.

واستنادا إلى مفهوم **القوة الإنجازية**، ارتأى" أوستن" أن يصنّف الأعمال التي ينجزها بواسطة اللغة إلى أصناف خمسة، هي [1] :

1- الأفعال اللغوية الدالة على الحكم (الحكمية أو الحكميات) Les verdictifs :

وهي أساسا صنف الأعمال القضائية، أفعال إطلاق أحكام على الواقع، أو قيمة مما يصعب القطع به، ومن أمثلتها : برأ، حسب، وصف، صنّف، فسّر، أدان، حكما، أصدر قرارا... .

2- الأفعال الدالة على القرارات (الإنفاذيات) Les exercitifs:

الذي يوافق شكلا آخر من الحكم يتصل بما ينبغي أن يكون أكثر ممّا يتصل بما هو كائن ويضم أفعالا ، مثل: قاد، دافع عن، وترجى، وطلب، وتأسّف، ونصح، وكذلك عين وأعلن عن بداية جلسة، وأغلق ونبّه، وطالب... .

3-الأفعال الدالة على الوعد والتعهد (الوعديات) Prommossifs :

وهي عبارة عن الافعال التي يتعهّد بها المتخاطبون عن مواقفهم اتجاه سلوك الاخرين، كأفعال الاعتذار والشكر والتعزية...

4- الأفعال الدّالّة على السلوك (السلوكيات) Les comportatifs : الذي يستلزم موقفا أو رد فعل بإزاء الآخرين أو وضعيتهم ، والهدف منها إبداء سلوك معين ويوافق أفعال أمثل : الشّكر والاعتذار، وتقديم التهاني والتعازي والمواساة....

5 - الأفعال العرضية (العرضيات) Les expositifs:

وترجمت أيضا إلى صنف التبيينيات، وهي عبارة عن عرض مفاهيم منفصلة(أكد، أنكر، أجاب، وهب...) . وعموما إنّ ما توصل إليه أوستين فتح نقاشا واسعا انخرط فيه

[1]- ينظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46 – 47، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيله في الدرس العربي القديم، ص 99 – 100.

العديد من الباحثين أمثال سورلو غرايس وآخرون الأمر الذي عمق النظرية وجعلها أكثر اتساعا.

ب- مرحلة النّضج والضبط المنهجيّ عند جون سيرل- John Searle

بلغت نظرية أفعال الكلام مرحلة النضج والضبط المنهجيّ على يد جون سيرل الذي طوّر نظرية أستاذه وأدخل عليها بعض التعديلات، ويمكن القول: إنّ مرحلته تعتبر مرحلة النضج والاكتمال لهذه النظرية، ولهذا احتلّ الصدارة بين أتباع أوستين ومؤيديه، إضافة إلى هذا، فقد أعاد لنظرية أستاذه كما قام بتطويرها[1].

وممّا أضافه سيرل إلى هذه النظرية تأكيده << أنّ الفعل الإنجازيّ هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغويّ، وأنّ للقوة الإنجازيّة دليلا سمّي دليل القوة الإنجازية يبيّن لنا نوع الفعل الإنجازيّ الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة >>[2]. ومعنى هذا – حسبه – أنّ الغرض الأساسيّ للتواصل هو الفعل الإنجازيّ، إذ أثناء نطقنا للجملة فإننا ننجز فعلا في الوقت ذاته، وهذا الفعل إمّا أن يكون طلبا، أو دعاء، أو أمرا، ممّا يعني أنّ الفعل الإنجازيّ له الفضل في تحديد نوع الفعل الذي تؤديه[3].

وممّا أضافه سيرل أيضا، إعادته النظر في تصنيف الأفعال الغرضية عند أوستين، ولا سيّما أنّه لاحظ أنّ هناك صعوبات متعلقة بهذا التصنيف، منها: التداخل الواضح بين فئات الأفعال، وأنّ من الأفعال المدرجة في فئات لا تفي بشروط التعريف المعطى للفئة، وعدم

---

[1]– آن رويول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 33.

[2]–علي حجي الصراف: في البرجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431 هـ – 2010م، ص 51.

[3]– ينظر: ياسر رجب عز الدين: الأفعال الكلامية في سورة يونس، المجلة العلمية، جامعة الأزهر، العدد 36، مايو، 1444هـ – 2022م، ص 29.

وجود مبدأ متين يقوم على أساسه التصنيف فضلا عن أنّ كثيرا من الأفعال التي وسمها اوستين بالأفعال الغرضية ليست غرضية[1].

ومن تعديلات إعادة تصنيفه للأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف أيضا مع إجراء بعض التعديلات عليها، فقسّمها إلى[2] :

- الإخباريات Assertives :

حيث ينقل المتكلم قضية ما يعبر بها عن واقعه، على أن تكون هذه الواقعة حقيقية والقضية المعبّر عنها صادقة، أي << إنّ الغرض الإنجازيّ العام هنا هو التقرير، واتجاه المطابقة في أفعال هذا الصنف من الكلمات (القول) إلى العالم وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها >>.

- التوجيهيات Directives :

وهو أن يقوم المتكلم بتوجيه المتلقي إلى فعل شيء ما، أو التأثير عليه لعمل شيء معيّن، كالاقتراح مثلا أو الإصرار في الطلب والإلحاح على فعل أمر، << واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات (القول) وشرط الإخلاص فيها هو الرغبة الصادقة أو الإرادة >>.

- الالتزاميات Commessives :

وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم – بدرجات متفاوتة – بفعل شيء ما في المستقبل، << واتجاه المطابقة في هذه الأفعال هو من العالم إلى الكلمات، شرط الإخلاص هو القصد >>.

---

[1]-.ينظر : صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرية أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 229 – 230.

[2]– ينظر: علي حجي الصراف، في البرجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة)، ص ص 61 – 63.

- التعبيريات (البوحيات) Expressives :

وهو التعبير والبوح عن حالة شعورية أو موقف نفسي للإنسان بشرط أن يكون تعبيرا حقيقيّا وشرط الإخلاص يكمن في صدق التعبير.

- الإعلانيات Declarations :

وهي الأفعال التي تحدث تغييرات في نمط الأحداث العرفية التي غالبا ما تعتمد على طقوس اجتماعية كإعلان حرب أو طقوس زواج أو طرق أو إقالة من عمل، حيث تحمل تعبيرات إلى العالم بالقول.

المطلب الثّاني: نظرية أفعال الكلام في البلاغة العربيّة

تندرج الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث " علم المعاني" وتتحدّد ضمن الظاهرة الأسلوبية الموسومة" بالخبر والإنشاء " أو" الطلب "وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة النحاة والبلاغيون والأصوليون .كما انفرد الفلاسفة والمناطقة بدراسة الخبر بعد أن ميزوه عن الإنشاء، وبينوا حدود كل منهما.

وعلم المعاني عند ابن خلدون (ت 808 هـ) يهتم بالتراكيب " الدالة المفيدة "دون غيرها، ويقول السكاكي مؤكدا هذا المبدأ (مبدأ الإفادة) : << اعلم أنّ علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل منها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره >>[1].

كما نجد أيضا محمد بن على الجرجاني (ت 729 هـ) يستند إلى القرينة التداولية الكبرى التي سموها" الإفادة "في تحديده موضوع علم المعاني إذا عرفه بأنّه : << علم يعرف به كيفية تطبيق أحوال الكلام العربي على أحوال المعني بحسب مقتضى الوقت>>[2].

ويتضّح ممّا سبق مدى الوعي بأهمية البعد التداولي للظاهرة اللغوية التواصلية، حيث إنّ السكاكي في تعريفه يخصّص الدّراسة ويجعلها مقتصرة فقط على التراكيب ذات الدلالة المفيدة، أمّا التراكيب غير التامّة فهي مستبعدة من دائرة تحليل العلماء في هذا الحقل، لأنّها ألفاظ مفردة غير مفيدة، ولأنّ هوية الأفعال الكلامية وإنجازيتها لا تتحقق ولا يتحدّد مجالها الدلاليّ والتداوليّ إلا في السّياق الكلاميّ وسياق الحال وقصديّة المتكلم، لاعتبارها أكبر القرائن المساعدة على فهم الغرض من الكلام ودلالته[3].

---

[1]– السكاكي: مفتاح العلوم، تع : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1407 هـ – 1987م، ص 247.

[2]– محمد بن علي الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح : عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ت)، ص 100.

[3]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 52.

أ- أقسام الكلام (الخبر والإنشاء) عند القدماء :

إنّ المتأمل في نظرية " الخبر والإنشاء " في التراث العربي، يلحظ ذلك الاختلاف الواضح في التمييز بين الأسلوبين، لأنّ البحث النظريّ من حيث المفاهيم والمصطلح << لم يولد منذ يومه الأول مكتملا ، محدد المعالم، بل الواقع أنه مرّ بمراحل قبل أن يستوي على سوقه، ويستقر على أسس واضحة المعالم بفضل انتقال تلك النظرية من آراء وملاحظات إلى أصول ناضجة ومباحث مؤسسة، لا سيما بعد اعتماد أدوات التحليل المنطقي والتداولي>>[1] ..

كما أنّ نظرية" الخبر والإنشاء "عند علمائنا لم تأت مكتملة، وإنّما مرت بمراحل وأطوار إلى أن استقرّت على أسس علمية ونهائيّة عند" السكاكي"، ومصطلح" الإنشاء " ذاته، لم يكتب له الشيوع والاستقرار إلا في مرحلة متأخرة، فقد كان يستعمل مصطلح " الطلب " الذي جاء مصطلح " الانشاء " كبديل له.

إضافة إلى أنّ المعايير المتخذة كأساس للتمييز بين " الخبر والانشاء " تعدّدت واختلفت باختلاف العصور والمراحل، كما اختلفت أيضا الأدوات التحليلية، وتنوعها بين " منطقية " و"تداولية"، فلم يتحقق الاستقرار في معايير التصنيف وفي الجهاز والمفاهيم ككل، إلا في مراحل لاحقة، يعود الى اعتماد أدوات التحليل التي اصطنعها المناطقة العرب ثم ألحقوا بها في مرحلة لاحقة، أدوات تداولية[2].

ب- معايير التمييز بين" الخبر والإنشاء" :

لم يكن الجهاز المفاهيميّ والمصطلحيّ لنظرية" الخبر والإنشاء" مستقرّا ومكتملا واضح القسمات، بل مرّ بمراحل انتقلت فيها تلك النظرية من آراء وملاحظات متفرقة إلى أصول

---

[1]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 58.

[2]- المرجع نفسه، ص 54.

ناضجة ومباحث مؤسّسة تأسيساً علميّا دقيقا، وذلك نتيجة لاعتماد" البلاغيين "في المراحل المتأخرة أدوات التحليل " المنطقي " و"التداولي " .

وقد حدّد **مسعود صحراوي** المعايير المعتمدة في التمييز بين" الخبر والإنشاء " في مختلف المراحل وقد صنفها إلى نوعين – وهي حسب تقديره – معايير منطقية ومعايير تداولية"، ويقول : << ولكنها كانت متداخلة في مصنفاتهم تداخلاً شديدا، ومن ثم يصعب فصل الجانب التداوليّ منها عن الجانب المنطقي >>[1].

ومن بين هذه المعايير :

المعيار الأوّل: الصّدق والكذب

يعدّ هذا المعيار محلّ إجماع بين العلماء العرب، وهو التمييز بحسب الشرط المبدئي المعروف، فالتمييز الأشهر عندهم بين" الخبر والإنشاء "هو التمييز بحسب المعنى، فالخبر ما كان يقبل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه، والنّصوص المأثورة عن علماء هذه المرحلة من البلاغة العربية تؤكد إجماعهم على ذلك[2] ، وذلك ما نجده عند **نجم الدين الكاتبي** الذي يقول في باب التمييز بين الخبر والإنشاء : << والكلام التام إن احتمل الصدق فهو الخبر والقضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء...>>[3].

وممّا يجب ذكره في هذا السياق أنّ مفهوم الصدق والكذب– وإنْ كانا من أظهر المفاهيم التي رسخت في التقاليد اللغوية العربية – فإنه يظل مفهوما ملبسا، تردد القدماء أنفسهم، في ضبطه، وبيان مراده، بين قائل : إنّه مطابقة حكم الخبر وعدم مطابقته للواقع.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 58.

[2]- ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم، ص 254.

[3]– يحي، ريمة : المقصدية في الخطاب الشعريّ، أطروحة دكتوراه، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة باتنة 1، 2020– 2021م، ص 143.

المعيار الثاني : التمييز بحسب مطابقة النسبة الخارجيّة

إذا كان الاتفاق حاصلا في أنّ الخير هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، فقد أكّد العلماء والباحثون وجوب مراعاة قصد المتكلم واعتقاد المخير، فإذا كانت نسبة الخبر الكلامية مطابقة لنسبته الخارجية مع اعتقاد المخبر بمطابقتها " فالكلام صادق"، وإذا كانت نسبته الكلامية غير مطابقة لنسبته الخارجية مع عدم اعتقاد المخبر بمطابقتها " فالكلام كاذب"، لذلك نرى **(الشريف الجرجاني)** يذهب إلى وجوب أن يعتد بالنسبة التي في الكلام من حيث مطابقتها بنسبة أخرى، معرفا الإنشاء بأنّه : << كلام لفظه سبب لنسب غير مسبوق بنسبة أخرى...>>[1].

كما يذهب سعد الدين التفتازاني (ت 792 هـ) إلى ذلك أيضا؛ فيرى أنّ << الكلام إن كان لنسبته خارج في أحد الأزمنة الثلاثة تُطابقه، أي أنّ تطابق تلك النسبة ذلك الخارج بأن يكونا ثبوتيتين أو سلبيتين، أو لا تطابقه، بأن تكون النسبة مفهومة من الكلام ثبوتية، والتي بينهما في الخارج والواقع سلبية أو العكس، فهو خبر>>[2]. هذا " الخبر " في نظر التفتازاني، أمّا " الإنشاء " بمقابلة المفهوم السّابق؛ هو ألا يكون لنسبة خارج.

المعيار الثالث : التمييز بحسب إيجاد النّسبة في الخارج

مزج بعض البلاغيين بين التحليل المنطقيّ والتحليل التداوليّ للكلام، فرأوا أنّ الكلام التّام الذي يحسن السكوت عنده يتضمّن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منه الدلالة على أنّ تلك النسبة حصلت في الواقع بين معنى المسند والمسند إليه، فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد منه الدلالة على أنّ اللفظ وُجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء[3].

---

[1]– الشريف الجرجاني: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص 86.

[2]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص 63 – 64.

[3]– ينظر: ابن يعقوب المغربي، مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج 1، ص 168.

وبذلك تكون وظيفة " الخبر " الدلالة على وقوع النسبة دون التأثير في وقوعها ، وإنّ " الإنشاء " في المقابل له وظيفة التأثير في وقوع النسبة بأن توجد به ؛ أي بعد التلفظ باللفظة ، وإن لم يُوجدها فهو يتسبب في إيجادها.

وعلى هذا، فالنسبة الخارجية لـ "الإنشاء " يُوجدها" الإنشاء "نفسه ، لأنّها لم تكن موجودة قبله، أو يُسبب هو إيجادها، في حين النسبة الخارجية لـ " الخبر " فهي موجودة قبله، وجاء "الخبر " ليصفها ويصورها؛ أي ليطابقها أو يخالفها[1].

3- تقسيمات الخبر والإنشاء

قسّم الكلام في التراث اللغويّ العربيّ إلى قسمين : كلام خبري وكلام إنشائي انطلاقا من معيار " الصدق والكذب ". فالكلام الخبري مرادف لمصطلح القضية عند المناطقة، ولمصطلح القول الجازم عن أرسطو وفلاسفة الإسلام، وهو مرادف للجملة الخبرية عند النحاة[2]، والمقصود به قول يصحّ أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب.

وتناول العرب الخبر بالدراسة، فحدّدوا مفهومه وقسّموه إلى أضرب انطلاقا من عدد المؤكدات التي يحويها (ابتدائي وإنكاري وطلبي)[3]، كما حدّدوا أغراضه التي تستنتج انطلاقا من السياق وقصد المتكلم.

أمّا الإنشاء ، فهو قول لا يصحّ أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب؛ ذلك أنّ الإنشاء ليس لنسبته خارج يطابقه أو لا يطابقه، ولا يوصف بصدق ولا كذب [4].

وكثيرا ما يستخدم علماء العربية مصطلح (الطلب) للدلالة على مفهوم الإنشاء، فالسيوطيّ يذكر عدة أقوال في أقسام الكلام وإن أكد على انحصاره في الخبر والإنشاء ومنها

---

[1]- سلفاوي، أم الخير: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال " مفتاح العلوم " للسكاكي، مذكرة ماجستير، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة قاصدي مرباح، 2009م، ص 78.

[2]- ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 2، 1982، ص 520.

[3]- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 87.

[4]- ينظر: الجرجاني (علي بن محمد)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص 56.

أنّ الكلام خبر، وطلب، وإنشاء [...] لأنّ الكلام إمّا أن يحتمل التصديق أو التكذيب. الأوّل الخبر، والثاني إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب[1].

والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء وأنّ معنى " اضرب " مثلا هو طلب الضّرب مقترن بلفظه، وأمّا الضّرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه، فهذا التعريف جعل الإنشاء قسيما للطلب وقرينا له في مخالفتهما للخبر.

غير أنّ الخطيب القروينى(ت 79) يقسّم الكلام إلى خبر وإنشاء. ويقسّم الإنشاء إلى ضربين : طلب وغير طلب. << والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر>> [2].

ويشمل الإنشاء الطلبي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني. ويشمل الإنشاء غير الطلب : الترجي، والقسم، والمدح، والذم، والتعجب، وصيغ العقود.

وتعتبر هذه الأساليب الخبرية والإنشائية أفعالا كلامية إنجازيّة بتعبير أوستين وسورل والتداوليين عموما.

[1]– السيوطي، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن، تع : محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط 1، 147 هـ – 1987م، ج 2، ص 209.

[2]– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ – 2002م، ص 95.

الفصل الثاني

الأثر التّداوليّ

للأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في

خطب البشير الإبراهيميّ

المبحث الأوّل: الأثر التداولي لأسلوب الأمر

تمهيـــد :

الأفعال الكلاميّة أفعال طلبيّة ذات صبغة توجيهيّة، بغض النّظر عن صيغتها، لكنّ الاستراتيجية التوجيهية – على رأي الهادي الشهريّ – تنبع من العلاقة السلطويّة بين طرفي الخطاب، إذ تسعى إلى تحقيق غرض إنجازيّ يتمثّل في تمكّن المُرسِل من توجيه المرسل إليه والتأثير فيه لدفعه إلى إنجاز الفعل الموجّه إليه[1]. ويتوسّل صاحب السلطة التوجيهيّة في الغالب وسائل لغويّة تتمثّل خاصّة في الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة من أمر، ونهي، واستفهام، ونداء، وإغراء، وتحذير، وغير ذلك مما فصّل فيه علماء المعاني الحديث.

وتهدف هذه الدّراسة في تتبع طائفة من خطب البشير الإبراهيميّ، الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، قصد الوقوف على الأثر التداوليّ للأساليب الإنشائيّة في خطبه وبيان مدى وظيفيّة هذه الأساليب في تحقيق سياسة الإبراهيميّ التوجيهيّة باعتباره رجل عقيدة ومصلحا اجتماعيّا ومفكّرا فذّا.

المطلب الأوّل : مفهوم الأمر وصيغه

1- تعريف الأمـــر :

الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبيّة، يعرفه ابن يعيش بأنّه: << طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته، فإذا كان من الأعلى إلى مَن دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء>>[2].

وعُرّف الأمر: بأنّه << هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حيث يكون من الأعلى إلى الأدنى، فالأعلى يطلب ممّن هو دونه حصول الفعل وتحقيقه ويعقبه عليه

[1]- ينظر : الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 325

[2]– ابن يعيش: شرح المفصل، تقد : إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1422 هـ – 2001م، ج 4، ص 289.

ويحث، وقد اختلف البلاغيون فيما يستعمل فيه أسلوب الأمر، فيرى بعضهم أنه يستعمل في الوجوب وأنّ المراد به الإلزام والتكليف، وبعضهم يرى أنّه للندب، وآخرون يرون أنه يستعمل في معنى يشمل الوجوب والندب وهو الطلب على جهة الاستعلاء، ويرى آخرون أنه من الألفاظ المشتركة بين الوجوب والندب فقط، أو بين الوجوب والندب والإباحة>>[1].

2- صيغ الأمـــــــر :

للأمر أربع صيغ هي :

1- فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ....﴾ . [التوبة : 05]

2- المضارع المقرون بلام الأمر ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّة ضِعَافا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدا ﴾ . [النّساء :]

3- اسم فعل الأمر؛ نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . [المائدة : 105]

4-المصدر النائب عن فعل الأمر؛ نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ.... ﴾ [محمّد :04].

[1]- سعد الدين التفتازاني: مختصر المعاني، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1411 ه، ص 139.

المطلب الثّاني: الأثر التّداوليّ لأسلوب الأمر

الأمر من الأفعال الكلامية التي تتحمل قوى إنجازية مختلفة، تغاير المعنى الأصلي الذي وضع له فيفيد: الإباحة ، أو الدعاء، أو التهديد، أو التمني، أو الحث والإثارة، أو الاستمرار والدوام على تحقيق الفعل...، إلى غير ذلك من الأفعال الإقناعية التي تؤثر في المتلقي، وتقنعه بمعونة السياق، وقرائن الأحوال.

وأسلوب" الأمر" من أهم الآليات التّوجيهيّة التي يتوخّاها المخاطب، عندما يرُوم تحقيق مقاصده الخطابيّة ووفقًا لما تقتضيه سلطته، وسلطة المرسل إليه، ونوعيّة العلاقة التي تجمع بينهما، بالإضافة إلى خصوصيّة السّياق التّداوليّ.

كما تتضافر عوامل مجتمعة من أجل تحقيق غايات تعبّر عنها أفعال إنجازيّة في زمن لاحق،<< والزّمن هنا مقصور على المستقبَل وحده، لأنّ الشّيء الذّي يطلبه إنسان من آخر لا يحصل ولا يقع إلا بعد الطّلب وانتهاء الكلام؛ أي لا يقع إلّا في المستقبَل >>[1].

والخطاب التوجيهيّ عند محمد البشير الإبراهيميّ حافل بآلية " الأمر " بمختلف صيغه التعبيريّة التي ذكرها علماء المعاني، حيث نجده يستخدم صيغة فعل الأمر " افعَلْ " في العديد من خطبه، من ذلك :

النّموذج الأوّل :

<< أيّها النّاس، اتّقوا الله تعالى حقّ التّقوى، وحافظوا على حدوده في السرّ والنّجوى، وامتثلوا أمر ربّكم الذي أكسبكم به فخرا وتعظيما، وهو قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب، 65]، واعلموا أنّ يومكم هذا خُصِّص للاجتماع والعبادة والحسنى والزّيادة، فأقيموا القصد في التقرّب من بعضكم ودَعُوا الأحقاد والتّباغض، وأَسبِلُوا على ما فرّط من بعضكم للبعض أذيال السّتر والعفو، والزموا خُلُقَ الرّضا والصّفح، فكونوا عباد الله رحماء بينكم :

[1]– عباس حسن: النحو الوافي، ج 1، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1974، ص 46.

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، [آل عمران، 103] . [1]

استهلّ الخطيب خطبته بنداء لعامّة الحاضرين للفت انتباههم، ثمّ عمد إلى توجيههم إلى تقوى الله حقّ تقاته، والمحافظة على حدوده في السرّ والعلن، والامتثال لأوامر الله جلّ في علاه، ثمّ نبّههم إلى أنّ لقاءهم هذا للُقيَا والعبادة والحسنى، ثم دعاهم إلى الاتحاد فيما بينهم وترك الأحقاد والتباغض، ولزوم الرضا والصفح والرّحمة فيما بينهم.

وحتّى يجعل البشير الإبراهيميّ لتوجيهاته بالغ الأثر والتأثير العميق في قلوب ونفوس المخاطبين راح يشفع كلّ توجيه صادر عنه بأدلّة قرآنية انطلاقا من قناعته الرّاسخة أنّ القرآن الكريم شفاء لكلّ الأسقام وأنّ منهجه أفضل منهج.

والمتأمّل في هذا المقطع من خطبة البشير الإبراهيمي يلاحظ أنّ الحمولة الدلالية لهذه الأفعال الكلاميّة الإنجازية تتكوّن من :

– قوّة إنجازيّة حرفيّة، تتمثّل في الأمر الصّريح بصيغة (افْعَلْ) في قوله : (اتّقوا، حافظوا، امتثلوا، اعلموا، أقيموا، دعوا، أسبلوا، إلزموا، كونوا).

– قوّة إنجازيّة قضويّة، تتمثّل في الدّعوة إلى تقوى والتمسّك بتعاليمعه ونبد البغضاء والشحناء.

– قوّة إنجازيّة مستلزمة مقاميّا تتمثّل في النّصح والتوجيه.

– قوّة إنجازيّة تأثيريّة تتمثّل في توجيه المسلمين إلى الاهتداء بهدي القرآن الكريم والالتزام بخلق خير البريّة، محمد صلّى الله عليه وسلّم.

[1]– البشير الإبراهيمي: الاثار، ج 1، دار الغرب الإسلاميّ، ط 1، 1997م، ص 65 – 66.

النّموذج الثّاني :

ومن خطب الإبراهيميّ التوجيهيّة التي استثمر الفعل الكلاميّ بصيغة الأمر (افعل) قوله:

<< طبقوا على أنفسكم جزئية واحدة من إصلاحاته كالزكاة، واظهروا بها للعالم على صورتها العملية الكاملة، وحقيقتها العلمية العليا، ثم قفوا بين الصفين، لا كموقف عمرو بمصاحفه يوم صفين. وأشربوا نفوسهم ما أشربت نفوسكم من معنى قوله تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾.[1]

ومن معنى قوله تعالى: ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾[2][.....]

أحيوا قرآنكم تحابوا به، حققوه يتحقق وجودكم به. أفيضوا من أسراره على سرائركم ومن آدابه على نفوسكم ومن حكمه على عقولكم تكونوا به أطباء ويكن بكم دواء.

﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾.[3]

بعد تأكيد الإبراهيمي على فضائل الإسلام على البشرية إذ أخرجها من الظلمات إلى النور، ومن حياة البؤس والشقاء إلى حياة السعادة والنعيم، راح يدعو السامعين إلى تطبيق جزئية واحدة من إصلاحاته كالزكاة، وتطبيق نظامها إبراز منافعها في القضاء على الفقر والأدواء، تطبيقا عمليا صحيحا وبأساليب علمية، ثمّ دعاهم إلى الوقوف موقفا وسطا، لأنّ الإسلام دين الوسطيّة.

كما دعاهم إلى إحياء القرآن الكرين في أنفسهم وتحقيق تعاليمه ومقاصده في حياتهم، والإفاضة من أسراره على سرائرهم ومن آدابه على نفوسهم ومن حكمه على عقولهم يكونوا به أطباء ويكن بهم دواء.

---

[1]– الزخرف : آ 32.

[2]– يونس : آ 58.

[3]– آثار الإبراهيمي : ج 1، ص 365.

كما يبدو في هذا السّياق أنّ الإبراهيميّ أضاف إلى سلطته كرجل إصلاح، سلطة اجتماعيّة ذات بعد دينيّ، حينما وظّف النّصوص الدينيّة معتمدا على ما تحمله من سلطة إقناعيّة.

وتأسيسا على ذلك، نلاحظ أنّ القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة تتمثّل في:

– المحتوى اللفظيّ يبدو في الأفعال الطلبية التوجيهيّة بصيغة الأمر (افعلْ) : (طبّقوا، أظهروا، قفوا، أشربوا، أحبوا، حققوا، أفيضوا).

– المحتوى القضويّ : طلب تطبيق تعاليم القرآن الكريم والامتثال لأحكامه وضوابطه ومقاصده.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا تتمثّل في : النّصح والتوجيه.

– القوّة التأثيريّة تتمثّل في دعوة المخاطبين إلى امتثال أوامر القرآن ونواهيه في سلوكاتهم وأعمالهم وعلاقاتهم بغيرهم من المسلمين.

النّموذج الثّالث :

ونجد البشير الإبراهيميّ يستغل المناسبات الدينيّة لحثّ المسلمين على الاستلهام من تعاليم الدين الإسلاميّ وتطبيق أحكامه في حياتهم اليومية وعلاقاتهم الاجتماعية، وحسن الاقتداء برسولنا الكريم من خلال اقتفاء سيرته العطرة، من ذلك قوله بمناسبة المولد النّبويّ الشّريف:

<< أيّها المسلمون : قبل أن تقيموا حفلات المولِد أقيموا معاني المولِد، وتدرّجوا من المولِد المحمّدي الذي هو مولِد رجل إلى البعثة المحمّديّة التي هي مولِد دِين نسَخَ الأديان لأنّه أكمل الأديان [...]، حاسبوا أنفسكم في كلّ عام من أين انتقلتم وإلى أين وصلتم، أشيعوا بينكم في هذه الذّكريات المحبَّة والأخوَّة والاتّحاد على الحقّ، واذكروا أنّ صاحب هذه الرّسالة بُعثَ بالعزّة والكرامة والعِلم والقوّة، فكونوا أعزّة وكونوا أحرارًا وكونوا أقوياء، واعرفوا محمّدًا بدِينِه وقرآنه وسيرته لا بمولدِه وأقيموا دِينه، ولا عليكم بعد ذلك أن تقيموا مولِدَه أو لا تقِيمُوه >>[1].

[1]– البشير الإبراهيمي: الآثار، ج 4، ص 144.

يخاطب الإبراهيمي كافة المسلمين – بمناسبة المولد النبوي الشريف– إلى الاستلهام من رسالة النبي محمد (ص) التي أخرجت الإنسانية من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، ومن العبودية إلى الحرية، ودعاهم ناصحا موجها إلى محاسبة النفس في كل عام، كيف كانوا وكيف أصبحوا، كما نصحهم بإشاعة المحبة والأخوة بينهم، وتذكر أنّ الرسول (ص) بعث بالعزة والكرامة والعلم والقوة، وتجسيد هذه المبادئ وهذه القيم المحمدية في حياتهم، ليعيشوا أحرارا أقوياء آخذين بناصية العلم والمعرفة، وأن يدركوا أنّ محمّدا بدينه وقرآنه وسيرته لا بمولده، ليهبوا إلى إقامة دينه وشريعته...

وتأسيسًا على ما تقدّم، يمكن أن نلمح القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة كالآتي :

– المحتوى اللفظيّ يتمثّل في: صيغة النّداء (أيّها المسلمون)، وصيغة الأمر (أقيموا، تدرّجوا، حاسبوا، أشيعوا، اذكروا، كونوا، أعرفوا، أقيموا..)

– المحتوى القضويّ : دعوة إلى إقامة دين محمّد بالاستلهام من سيرته العطرة والاقتداء به.

– القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميّا : حثّ المسلمين وتوجيههم إلى الاقتداء برسول الله (ص) بإقامة تعاليم الإسلام.

– القوّة التأثيريّة تتمثل في حثّ المسلمين إلى اتّخاذ حياة الرسول (ص) منهج حياة وسنّته المطهّرة دستورا يضبط حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

النّموذج الرّابع :

وفي سياق آخر، نجد الإبراهيميّ يوظّف طائفة من الأفعال الكلاميّة الطلبيّة في قوله :

<< يا قادة الأحزاب !إنّ في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار، تؤرّث العداوة الحزبيّة بين الإخوة بحجَّة المحافظة على المبدإ، فانبذوها بضرورة الاتّحاد ومراعاة الظّروف، وادحضوا شبهتها بحجَّة الوطن الصّريحة، وإنّ في صفوفكم دسّاسين مدخولين من الرّجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد، وإنّكم لتعرفونهم بسيماهم وتعرفونهم في لحن القول، فأخرجوهم من الصّفوف، ولا تسمعوا لهم كلمة ولا تطيعوا لهم رأيًا [...].

يا قادة الأحزاب !إنّكم مسؤولون أمام الله وأمام التّاريخ وأمام الوطن وأمام الأمّة، فاعرفوا قيمة هذه المسؤوليّة الثّقيلة واشتركوا في تحمّلها بإخلاص تخفُ ويخفُ عليكم ثقلها >>[1].

يستهل الإبراهيمي خطابه بنداء، غرضه لفت انتباه السامعين، خصّ به قادة الأحزاب، ثمّ أكّد على وجود أفكار دخيلة عليهم من شأنها أن تورث بينهم العداوة الحزبية والتفرقة، ثم دعاهم ناصحا موجها إلى نبذها بالاتحاد بينهم ودحض شبهتها بالتمسك بالوطنية الحقة، ثمّ حذرهم من دسائس الدخلاء ممن لا يهمهم سوى المنافع والكراسي ونصحهم بإبعادهم من الصفوف وعدم الا الاستماع إليهم وطاعتهم في ما يدعون إليه.

ثمّ أكد لرؤساء الأحزاب أنّهم مسؤولون أمام الله وأمام التاريخ وأمام الأمّة والوطن، داعيا إياهم إلى إدراك قيمة هذه المسؤولية الثقيلة والاشتراك في تحمل متطلباتها، فبالإخلاص والتفاني تخفّ وطأتها.

وتأسيسا على ما تقدّم، يمكن أن نلمح القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة كالآتي :

– المحتوى اللفظيّ يتمثّل في أفعال كلاميّة توجيهيّة متعدّدة ومتنوّعة تمثّلت في : فعل طلبيّ توجيهيّ دلّت عليه صيغة النّداء (يا قادة الأحزاب)، وفعل كلاميّ تقريريّ في قوله : (إنّ في مبادئكم...)، وفعل كلاميّ طلبيّ دلّت عليه صيغة الأمر (أنبذوها، ادحضوا، أخرجوا، اعرفوا، اشتركوا..)، وفعل طلبيّ توجيهيّ دلّت عليه صيغة النّهي (لا تسمعوا، لا تطيعوا..).

– المحتوى القضويّ : دعوة قادة الأحزاب إلى نبذ العداوة الحزبيّة بالاتّحاد والتمسّك بقيم الوطنيّة الحقّة وتحمّل المسؤولية أمام الله والوطن.

– القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميّا : تحذير قادة الأحزاب من الأفكار الهدّامة المورِثة للعداوة والتفرقة، ونصحهم بالوحدة والاتحاد وتحمّل المسؤولية أمام الله والأمة.

– القوّة التأثيريّة : دفع قادة الأحزاب إلى تقديم مصلحة الوطن على المصالح الشخصيّة.

[1]– آثار الإبراهيميّ، ج 3، ص 302 – 303.

النّموذج الخامس :

كما استثمر البشير الإبراهيميّ في خطابه التوجيهيّ صيغة المضارع المقتن بلام الأمر، لما له من دلالات ترتبط بالمستقبل القريب، ولذا استعمله في خطاباته التوجيهية التي تستدعي تنفيذا لا يقبل التأخير والتأجيل، ومثال هذا التوظيف قوله :

<< إنّ هذا البرنامج الذي أضعه بين أيدي أبنائي المعلّمين، والبرنامج الذي وضعته للتّعليم التّجهيزي، والذي وضعته لتعليم البنت المسلمة [...] فليجتهدوا في تنفيذها وليحقّقوا غاياتها ومراميها، وليجعلوها دستورا يقفون عند نصوصه، ويجمعون ما تفرّق من أساليبهم الخاصّة في التعليم عليه بخصوصه وليتبيّنوا أنّ الغاية من توحيد البرنامج هي توحيد التّعليم والتربية، حتّى ينشأ هذا الجيل مطبوعًا بطابع واحد في لسانه وبيانه وقلمه، وفي تفكيره ومشربه، وفي آرائه في الحياة ونظرته إليها وأحكامه عليها >>[1].

في كلمته الموجهة إلى المعلمين بمناسبة وضعه لبرنامج تعليمي، أكد الإبراهيمي أنّ البرنامج التعليمي الذي وضعه للتعليم التجهيزي، وذاك الذي وضعه لتعليم البنت المسلمة من شأنه إرشادهم إلى أحسن الطرائق في التعليم كما سيذلل لهم كل العقبات، ثم دعاهم إلى الاجتهاد في حسن تنفيذه، وتحقيق غاياته ومراميه، وجعله دستورا يقفون عند نصوصه ويجمعون ما تفرق من أساليبهم الخاصة في التعليم، وتبيّن أنّ الغاية من توحيد البرنامج توحيد التعليم والتربية.

وتأسيسا على ما تقدّم، يمكن أن نلمح القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة فيما يأتي :

– المحتوى اللفظيّ يتمثّل في الفعل الكلاميّ التقريريّ الذي دلّت عليه القرينة (إنّ) في قوله : << إنّ هذا البرنامج...)، والأفعال الكلاميّة الطلبيّة التوجيهيّة التي دلّت عليها صيغة المضارع المقترن بلام الأمر: (ليجتهدوا، ليحققوا، ليجعلوها، ليتبيّنوا..).

– المحتوى القضويّ : دعوة إلى تطبيق البرنامج التعليميّ الجديد والعمل على تحقيق غاياته ومراميه.

[1]– البشير الإبراهيمي، ج 2، ص ص 110 – 111.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا: إرشاد المعلمين بتطبيق البرنامج التعليمي بحذافيره وتحقيق غاياته.

– القوّة التأثيريّة : دفع المعلّمين إلى الأخذ بما استجدّ في طرائق التعليم الحديثة.

النّموذج السّادس :

ونجد الإبراهيميّ يستثمر تجربته التربويّة في مجال التعليم مُسدِيًا نصائح قيّمة لفئة المعلمين، موظّفا الفعل الطلبيّ المتمثّل في المضارع المقترن بلام الأمر لما له من قوّة إلزاميّة قوله :

<< ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن [.....] وليدرس المعلم ميول الأطفال بالاختلاط بهم، وليكُنْ بينهم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه، ويردّ الناد منهم عن المحجة برفق.... إنّ درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها، ومن غرس أضدادها من الفضائل في نفوسهم. وإنّ المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا...ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحا، لأنهم يأخذون منه بالقوة أكثر ممّا يأخذون منه بالتلقين >>.[1]

استهلّ الإبراهيميّ هذه الخطبة بتحذير المعلمين من خطورة اتباع الطرائق التعليمية العتيقة الشائعة بين معلمي القرآن الكريم، القائمة على التلقين، والمتّسمة بأساليب الزجر والتعنيف، كما دعاهم – ناصحا – إلى الاستلهام من الطرق التربويّة الحديثة، بالمبادرة – قبل التعليم – إلى دراسة ميولات المتمدرسين واتباع أساليب التواصل المفيدة في تعاملهم معهم، معلّلا ذلك بأنّ درس ميول المتعلمين يمكّن المعلّم من إصلاح الفاسد، واستدراك النقائص وغرس القيم والفضائل في نفوسهم، ولا يتحقّق لهم ذلك إلا إذا كانوا قدوة لغيرهم.

وممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة في هذه الخطبة تتمثّل في:

– المحتوى اللفظيّ يتمثّل في الأفعال التوجيهيّة الطلبيّة التي دلّت عليها صيغة المضارع المقترن بلام الأمر (ليحذر، ليدرس، لِيكُنْ..).

[1]– آثار الإبراهيمي، ج 2، ص 113.

– المحتوى القضويّ: تطبيق آليات الطرائق التربويّة الحديثة كفيل بتحقيق تعليم جيّد وتنشئة جيل متعلّم سليم العقل والبدن.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا: تحذير المعلمين من سلبيات طرائق التعليم التقليدية ونصحهم بالأخذ بما استحدث في الطرائق التعليمية الحديثة.

– القوّة التأثيريّة: دفع المتعلمين إلى الاستفادة من الطرائق التربوية الحديثة وحسن التواصل والتعامل مع المتعلّمين.

النّموذج السّابع :

كما نجد الإبراهيميّ في مقامات توجيهيّة أخرى يوظّف صيغة المصدر النّائب عن فعل الأمر لما له من دلالة إلزاميّة توجيهيّة، كما في قوله :

<< تنبيه أكيد إلى رؤساء الجمعيّات المحليّة :

يجب عليكم –أ يّها السّادة – أن تحرصوا كلّ الحرص على تعمير صناديق جمعيّاتكم بكل وسيلة : بالاكتتاب، وبالاشتراك الشّهري، وبالزّيادة في أجور التعليم على أولياء التّلاميذ[...]، فعليكم أن تجتهدوا في تحضير المال اللّازم لمواجهة هذه الزّيادة التي لابدّ منها، وسيصلكم منشور عام في شأنها، مفصّل على حسب درجات المعلّمين ... >>[1].

ينطلق الإبراهيميّ في هذه الخطبة من سلطته القياديّة على مستوى جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ليدعوَ رؤساء الجمعيات المحليّة إلى وجوب استغلال كل الوسائل لدعم صناديق جمعياتهم بالأموال، بالاكتتاب، والاشتراك الشهريّ، الزيادة في أجور التعليم على أولياء التلاميذ، كما أمرهم بالاجتهاد في تحضير المال اللازم لمواجهة هذه الزيادة الضرورية.

وممّا تقدّم نلاحظ أنّ القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة في هذه الخطبة تتمثّل في :

– المحتوى اللفظيّ يتمثّل في الفعل الكلاميّ المعجميّ الدّال على الوجوب (يجب عليكم)، والفعل الكلاميّ الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة اسم فعل الأمر (عليكم..).

[1]- البشير الإبراهيمي، الآثار، ج 2، ص 273.

- المحتوى القضويّ : دعوة إلى الحرص على دعم الجمعيات المحلية ماديّا.

- القوّة الإنجازيّة المستلهمة مقاميّا : توجيه أعضاء الجمعيات المحليّة إلى دعم صناديقها ماديّا.

- القوّة التأثيريّة : تحسيس أعضاء الجمعيات المحليّة بدعمها ماديّا ومعنويّا.

المبحث الثّاني : الأثر التداوليّ لأسلوب النّهي

المطلب الأوّل: تعريف النهي، صيغته :

النّهي من الأساليب الإنشائية الطلبية، وهو << كلّ أسلوب يطلب به الكفّ عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عليا نَاهِيَّة إلى جهة دنيا مَنْهِيَّة، وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية كقولك : لا تصاحب الأشرار، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نرَزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : 151] >>[1] .

والنّهي كالأمر في الاستعلاء[2]، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منهية. و<< الأمر والنّهي يتفقان في أنّ كلّ واحد منهما لا بدّ فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنِهما جميعا يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرا لنفسه، أو ناهيّا لها، وأنّهما جميعا لا بدّ من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريدا لهما، إلى غير ذلك من الوجوه الاتفاقية، ويختلفان في الصيغة، لأنّ كلّ واحد منهما مختصّ بصيغة تخالف الآخر، ويختلفان في أنّ الأمر دالّ على الطلب، والنهي دال على المنع، ويختلفان أيضا في أنّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأمورة، وأنّ النّهيَ لا بدّ فيه من كراهية منهية >>[3].

وكما يتحمّل الأمر قوى إنجازيّة تأثيرية مختلفة، يتحمّل النّهي قوى إنجازية لا تقلّ تأثيرا أو إقناعا، وهذا ما سيتّضح لنا في نماذج من فنّ الخطابة عند البشير الإبراهيميّ.

ويعدّ " النّهي " آلية مهمة من الآليات التوجيهيّة، التي يسعَى المرسل إلى توظيفها بناء على مقاصد خطابه وعلاقته الاجتماعية بالمرسل إليه – في بعدها السلطويّ –، كما تؤثر القضية المراد طرحها في الخطاب، وظروف إنتاجه، على تحديد درجات التوجيه باستعمال "

---

[1]– التفتازاني، سعد الدين: مختصر المعاني، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1411 هـ، ص 40.

[2]– القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 234.

[3]– العلوي، يحي بن حمزة: الطراز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط 1، القاهرة، ج 3، 1423 هـ – 2002م، ص 157.

النهي"؛ إذ يمكن أن يخرج عن دلالته الأصلية، إلى دلالات أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال: كالدعاء، والالتماس، والإباحة، والتوبيخ، والتهديد...إلخ.

المطلب الثاني: الأثر التداولي لأسلوب النّهي :

الإبراهيمي بحكم منزلته الاجتماعيّة ومسلطته الدّعويّة الإصلاحيّة، وعلاقته بعموم الشعب الجزائري، وبحكم رسالته الإبلاغيّة والتوجيهيّة، نراه يستثمر أسلوب النّهي بدلالته الحقيقيّة ودلالاته المجازيّة بغرض تحقيق مقاصد خطابه.

النّموذج الأوّل :

ومن ذلك ما نجده في قوله مخاطبا الشّعب الجزائريّ قبل شهر رمضان من سنة 1366هـ –

<< لا عذر لكم في الاختلاف في هذا الزّمن الذي قارب بين أجزاء الأرض وقرّب بين أفراد البشر وسهّل نقل الأخبار وصحّح مقاييس العلم [...]، لا تجعلوا الحدود الإقليميّة التي وضعها المخلوق، حدودًا فارقة في الشّعائر التي وضعها الخالق، ولا ترتابوا في أخبار التليفون إذا عرف الصّوت وتعدّد الناقل، ولا ترتابوا في أخبار الإذاعة فإنّها أمنع من أن يتطرّق إليها الخلل في هذا الباب وأنها لا تذيع إلا ما تقدّمه لها الهيئات الشرعيّة.

لا تلتفتوا إلى شبهة تباعد الأقطار فكثيرًا ما يكون يوم عيد الأضحى بمنًى هو يوم عيد الأضحى عندنا بشهادة الحجّاج منكم [...]، لا تتراخوا في أداء الشّهادة برؤية الهلال وتعميمها بجميع الوسائل وأقواها وأسرعها التليفون. لا تسمعوا كلام الجاهلين الذين يسوّلون لكم الخلاف في الدِّين باسم الدِّين[1].[...]

توجّه الإبراهيمي – بمناسبة حلول شهر رمضان الكريم في عام 1366هـ – إلى الشعب الجزائريّ ومن خلاله الشعوب الإسلاميّة بهذا الخطاب، استهله معاتبا الشعب الجزائريّ على هذا الاختلاف غير المبرر حول غرّة الشهر الفضيل، في زمن قرّب العلمُ بين أجزاء الأرض وذلّل جميع الفوارق والعقبات والمسافات، ويسّر نقل الأخبار وعرض الأحداث،

[1]– البشير الإبراهيمي: الآثار، ج 2، ص 163 – 164.

ثمّ نهاهم عن جعل الحدود الجغرافية حدودا فارقة في توحيد الشعائر الإلهيّة، ونهاهم عن الشكّ في أخبار التليفون وأخبار الإذاعة إذ تبثّ وتذيع ما صدر عن الهيئات الشرعية، كما حذّرهم من شبهة تباعد الأقطار لعدم توحيد أيام الشعائر كتوحيد يوم عيد الأضحى، وحذّرهم من التراخي في أداء الشهادة برؤية الهلال وتعميم الرؤيا بأقوى ما توفر من وسائط، ونبّههم إلى وجوب تجنب اتباع الجهلة السّاعين إلى بث الخلاف والتفرقة باسم الدين.

وتأسيسا على ما تقدّم نرى أنّ الحمولة الدلالية للأفعال الكلاميّة الإنجازية في الخطبة تتكوّن من :

– القوّة الإنجازيّة الحرفيّة تتمثّل في الفعل الكلاميّ التقريريّ في قوله: (لا عذر لكم في الاختلاف في هذا الزّمن ...)، والفعل الكلاميّ الطلبيّ التوجيهيّ الذي دلّت عليها صيغة النّهي (لا تفعلْ) : (لا تجعلوا، لا ترتابوا، لا تلتفتوا، لا تتراخوا، لا تسمعوا..).

– المحتوى القضويّ: دعوة إلى توحيد مواقيت المناسك الإسلاميّة كتوحيد غرّة رمضان الفضيل.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا : التأنيب والتوبيخ المستفاد من الفعل الكلاميّ التقريريّ، والتحذير والنّصح والتوجيه المستفاد من الفعل الطلبيّ التوجيهيّ، حيث حذّر الخطيب المسلمين من الفرقة والاختلاف ونصحهم بالاتحاد في أداء الشعائر والمناسك في وقتها.

– القوّة الإنجازيّة التأثيريّة : توجيه المسلمين إلى توحيد مواقيت المناسك والشعائر الإسلاميّة.

النّموذج الثّاني :

ومن خطب الإبراهيميّ التي وظّف فيها الأفعال الكلاميّة بصيغة النّهي قوله مخاطبا – على أمواج الأثير بإذاعة " صوت العرب " عام 1955م – المسلمين أفرادا وهيئات وحكومات :

<< أيّها المسلمون أفرادًا وهيئات وحكومات :

لا توالوا الاستعمار فإنّ موالاته عداوة لله وخروج عن دِينه.

ولا تتولّوه في سِلم ولا حرب، فإنّ مصلحته في السِّلم قبل مصالحكم، وغنيمته في الحرب هي أوطانكم.

ولا تعاهدوه فإنّه لا عهد له.

ولا تأمنوه فإنّه لا أمان له ولا إيمان.

إنّ الاستعمار يلفظ أنفاسه الأخيرة فلا يكتب عليكم التّاريخ أنّكم زدتم في عمره يومًا بموالاتكم له.

ولا تحالفوه فإنّ من طبعه الحيواني أن يأكل حليفه قبل عدوّه>>[1].

هذا الخطاب، توجّه به الإبراهيمي إلى كافة المسلمين – عبر إذاعة صوت العرب – عام 1966م، أفرادا وهيئات وحكومات، حذرهم فيه من مغبّة موالاة الاستعمار لأنها عداوة لله وخروج عن دينه، كما حذرهم من توليته، لا في السلم ولا في الحرب، لأنّ مصلحته أولى له وغنيمته في الحرب هي أوطانهم. كما حذرهم من معاهدته إذ لا عهد له ولا ذمّة، وحذرهم من إعطائه الأمان إذا لا أمان له ولا إيمان، كما حذرهم من التحالف معه لأنّ طبعه الغدر كالحيوان يأكل حليفه قبل عدوّه.

وممّا تقدّم نلاحظ أنّ الحمولة الدلاليّة لهذه الأفعال الكلاميّة الإنجازيّة تتكوّن من :

– المحتوى اللفظيّ يتمثّل في الفعل الطلبيّ بصيغة النّداء (أيّها المسلمين)، وفي الأفعال الكلاميّة الطلبيّة بصيغة النّهي : (لا توالوا، لا تتولّوه، لا تعاهدوه، لا تأمنوه، لا تحالفوه).

– المحتوى القضويّ : التحذير من كيد الاستعمار الغاشم وغدره.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا : تحذير المسلمين من موالاة الاستعمار والتحالف معه.

– القوّة التأثيريّة : دفع المسلمين إلى اتّقاء كيد الاستعمار بأخذ الحذر من سياساته.

النّموذج الثّالث :

وينطلق البشير الإبراهيميّ من سلطته الأبويّة الإصلاحيّة ليخاطب جمعا من الطلبة المهاجرين إلى الشرق العربيّ وغربه وإلى أوروبا محصّنا إيّاهم بجملة من النّصائح والتوجيهات، وذلك في قوله :

<< وأوجّه النّداء إلى جميع أبنائنا المهاجرين إلى الشّرق العربي، أو إلى أطراف المغرب العربي، أو إلى أوربا، ثمّ أخصِّص المهاجرين إلى تونس لأنّهم كثرة، ولأنّ في أحوالهم لغيرهم عبرة [...] .

[1]– البشير الإبراهيمي: الآثار، ج 5، ص 70.

لا تعتمدوا على حِلَقِ الدّروس وحدها، واعتمدوا معها على حِلَقِ المذاكرة، إنّ المذاكرة لقاح العلم، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدّرس بالمذاكرة في ذلك الدّرس، [...] ، لا تقنعوا بالكتاب المقرّر، واقرأوا غيره من الكتب السّهلة المبسوطة في ذلك العلم.....>>[1].

يوجّه الإبراهيمي خطابه هذا على وجه التخصيص إلى الطلبة الجزائريين المهاجرين إلى المشرق العربي ومغربه طلبا للعلم، وخاصة المهاجرين إلى تونس باعتبارهم كثرا، ناصحا إيّاهم – من منطلق سلطته التربويّة الإصلاحيّة – أن لا يعتمدوا على حلقات الدروس وحدها، بل عليهم أن يخصصوا وقتا مهمّا – بعد نهاية دوام الدراسة – للمذاكرة، إذ المذاكرة لقاح العلوم كما قال الأوّلون، كما حثّهم على عدم الاقتناع بمضامين ومحتويات الكتاب المدرسيّ والنهل مما أتيح بين أيديهم من كتب في شتى الفنون والعلوم.

واللافت في خطب البشير الإبراهيميّ ارتباط أسلوب النّهي بأسلوب الأمر لاتفاق الأسلوبين في كونهما فعلان كلاميان، يحمل كل منهما قوة إنجازية تحدّده إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عنه[2]؛ إذ كثيرا ما يرتبط أسلوب النّهي بأسلوب الأمر في الخطاب ، ولا يختلف عنه، في هذا يقول المبرد : << واعلم أنّ الطلب من النّهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأمر>>[3].

كما يتّفق الأمر والنّهي في الكلام، فقد يردان على سبيل الحقيقة؛ لحمل المخاطب على إتيان المأمور به وعدم إتيان المنهيّ عنه، كما يأتيان على سبيل المجاز، فتخرج صيغتهما عن المعنى الأصليّ إلى معانٍ فرعية أخرى كثيرة تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

وتأسيسا على ما سبق، نلاحظ أنّ الحمولة الدّلاليّة للأفعال الكلاميّة في هذه الخطبة تتألّف من:

---

[1]– الإبراهيمي : الآثار، ج 3، ص 203.

[2]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 150.

[3]– المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، ج 2، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط 2، 1994، ص 133.

– المحتوى اللفظيّ، ويتمثّل في: الفعل المعجميّ الدّال على النّداء في قوله: (وأوجّه النّداء..) وغرضه لفت انتباه السامعين، وتحديد المستهدفين بهذا الخطاب (الطلبة الجزائريين المهاجرين طلبا للعلم). والأفعال الكلاميّة الطلبيّة بصيغة النّهي (لا تفعلْ) في قوله: (لا تعتمدوا، ولا تقنعوا) وبصيغة الأمر (افعلْ) في قوله : (اعتمدوا، اشغلوا، اقرأوا..).

– المحتوى القضويّ : الدّعوة إلى حسن استثمار الوقت للنّهل من ينابيع العلوم خارج أوقات الدّراسة.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا : النّصح والتوجيه.

– القوّة التأثيريّة : دفع الطلبة إلى التركيز على طلب العلم والمعرفة، وحسن استثمار الوقت في سبيل ذلك.

النّموذج الرّابع :

ونجد الإبراهيميّ لا يفوّت مناسبة لتوجيه عموم الشّعب الجزائريّ، مدفوعا بسلطته الدّعويّة الإصلاحيّة، من ذلك الكلمة التي ألقاها بمناسبة افتتاح مدرسة ببسكرة، في فيفري من سنة 1951م، إذ يقول :

<< مدوا أيديكم لهذا المشروع واسخوا فيه، ولا تضنّوا عليه بالعزيز فإنه أعزّ، ولا بالنفيس فإنه أنفس، ولا تنفقوا فيه من الفضول بل من الصميم، وإنني حين أدعوكم اليوم إلى البذل فيه لا أدعوكم لتخليص ما تمّ منه، فهذا أقلّ من هممكم، وهذا جناح قد تمّ ونبتت خوافيه وطالت قوادمه وأصبح يدعو لنفسه بنفسه، وإنما أدعوكم لتكميل الجناح الناقص لطائره الميمون، وقد نبهكم إلى ذلك شاعرنا محمد العيد بقوله :

وطير بديع لو يضمّ جناحه إليه لحاز الحسن أجمع بالضمّ[1]

بمناسبة افتتاح مدرسة ببسكرة، وبعد التأكيد على أنّ هذه المدارس حصن من حصون الإسلام الحصينة، ومعقل من معاقله المنيعة، دعا الإبراهيمي الحاضرين إلى دعم هذا المشروع بسخاء، وعدم الضنّ عليه بالمدد والعطاء، ولا بالنفيس ممّا يملكون، وأن لا ينفقوا

[1]– الإبراهيمي: الآثار، ج 2، ص 382.

في سبيله بما زاد عنهم، بل من الصّميم من أموالهم، ثم أكد لهم أنّ دعوته لهم اليوم بالبذل بسخاء في سبيل هذا المشروع ليس بغرض إتمام ما تمّ إنجازه، بل لإتمام ما ينتظر الإتمام، ومثل لهم ذلك بجناح الطائر الناقص الذي ينتظر الإكمال حتى يتسنى للطير أن يضمّ جناحيه للطيران، مستشهدا في هذا السياق بقول الشاعر محمد العيد آل خليفة المدعم لهذه الفكرة.

وممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ الحمولة الدّلالية للأفعال الكلاميّة في هذه الكلمة تتمثّل في :

– المحتوى اللفظيّ : ويتمثّل في المزاوجة بين الفعلين الكلاميين الطلبيين : الأمر بصيغة (افعلْ) في قوله: (مُدُّوا، اسخوا) والنّهي بصيغة (لا تفعل) في قوله: (لا تضنوا، لا تنفقوا).

– المحتوى القضويّ، ويتمثّل في: ضرورة الإنفاق بسخاء في سبيل المشاريع الخيرية خدمة للبلاد.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا، وتتمثّل في: الحثّ والنّصح والتوجيه.

– الفعل التأثيري، ويبدو في تحسيس الشعب الجزائريّ بأهميّة الإنفاق في سبيل المشاريع الخيرية.

النّموذج الخامس :

وفي كلمة ألقاها البشير الإبراهيمي بمناسبة افتتاح دار الطلبة بقسنطينة عام 1953م، قال :

<< ... الحاجة يا إخواني إلى العلم ملحّة والخصم في القضية لدود، فلا ترهبوا الظالمين ولا تسمعوا للمرجفين ولا تلتفتوا إلى الناعقين، فإنّ فيهم الحسود وفيهم الحقود وفيهم المسخر وكلهم عدوّ لكم فأغيظوهم بالعمل الصالح وإحذروهم كما تحذرون الشيطان>>[1].

[1]- الآثار، ج 4، ص 247

أكّد الإبراهيمي في هذه الكلمة مخاطبا مشايخ جمعية العلماء المسلمين وطلبتها على أنّ الحاجة إلى طلب العلم ملّحة، وأنّ أعداء هذا المسعى كثر، لا يروقهم ولا يطمئن لهم جفن إن تحقق هذا المطلب لأبناء الشعب الجزائريّ، ثمّ دعاهم إلى عدم الإذعان للظالمين ولا الاستماع للمرجفين ولا الالتفات للناعقين، لأنّ فيهم الحسود والحقود، فكلهم أعداء ألدّاء، لذا عليهم بإغاظتهم بالاستمرار في طلب العلم والحذر من كيدهم ومكرهم.

وممّا سبق، نلاحظ أنّ الحمولة الدّلاليّة للأفعال الإنجازيّة في هذه الكلمة تتمثّل في :

– المحتوى اللفظيّ يتمثل في : الفعل الكلاميّ الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة النّداء (يا إخواني...) وغرضه التداوليّ لفت انتباه السامعين، والمزاوجة بين نمطين من الأفعال الكلاميّة الطلبيّة : النّهي بصيغة (لا تفعل) في قوله : (لا ترهبوا، لا تسمعوا، لا تلتفتوا..)، والأمر بصيغة (افعلْ) في قوله : (أغيوظوا، احذروا).

– المحتوى القضويّ : يتمثل في حاجة أبناء الأمّة إلى طلب العلم وموقف أعداء الأمة الجزائري من ذلك.

– القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميّا : تتمثّل في النّصح والتوجيه والتحذير.

– القوّة التأثيريّة : تتمثّل في ترغيب أبناء الشعب الجزائري في طلب العلم وتحذيرهم من كيد المستعمر الغاشم.

المبحث الثّالث : الأثر التّداوليّ لأسلوب الاستفهام

المطلب الأول : تعريف الإستفهام – أدواته :

يرى صاحب الطراز أنّ الاستفهام << معناه طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا : طلب المراد عام فيه وفي الأمر، وقولنا على جهة الاستعلام، يخرج منه الأمر، بأنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد، وآلاته على نوعين : أسماء وحروف >>[1].

ويرى الأصوليون أنّ الاستفهام متنقل بين الخبر والإنشاء بحسب السياق وقصد المتكلم وغرضه من المخاطب. فأمّا الاستفهام الخبري فله ضربان هما : استفهام الإنكار واستفهام التقرير. وأمّا الاستفهام الإنشائيّ فأصنافه كثيرة منها: العرض والتحضيض والنّهي والتمني والتنبيه والدعاء والتحذير وغير ذلك.[2]

والاستفهام صيغة من صيغ الأفعال التوجيهيّة الطلبيّة، يراد به << طلب حصول صورة الشيء في الذهن>>[3]، فالفعل الاستفهاميّ أو إثارة السؤال هو الفعل الأكثر أهمية ضمن الأفعال اللغويّة، ويكون فيها مقاميّا يفهم من سياق الخطاب بوساطة قرائن الأحوال، وفي هذه الحالة لا يريد المتكلم الفهم لنفسه؛ بل يريد إفهام المخاطب[4]؛ لذا يعدّه البعض من << الآليات اللغويّة التوجيهيّة بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عنها، ومن ثم فإنّ المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل للسّيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريد المرسل لا حسب ما يريدوه الآخرون...>>[5]،

---

[1]- العلوي، يحي بن حمزة : كتاب الطراز، ص 532.

[2]– ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص 163 – 164.

[3]– الجرجاني، الشريف: التعريفات، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000م، ص 18.

[4]– ينظر: خديجة محفوظ الشنقيطي، المنحى التداولي في التراث اللغوي، الأمر والاستفهام نموذجان، عالم الكتب الحديث، ط 1، الأردن، 2016م، ص 159.

[5]– فضيلة قلاتي : البنية الحجاجية في شعر المتنبي،، السيفيات أنموذجا، مقاربة تداولية، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، 2016، ص 86.

ويعدّ من الأساليب الإنشائية التي تخرج عن معناها الحقيقيّ إلى معنى ثانويّ مستلزم من المقام.

المطلب الثاني : الأثر التداوليّ لأسلوب الإستفهام

النّموذج الأوّل:

وخطب البشير الإبراهيميّ التوجيهيّة حافلة بآلية الاستفهام، وظّفها الخطيب لتحقيق مقاصده، منها قوله فئة تطفّلت على القرآن والسّنة المطهّرة فراحت تخوض في ما لا تفقه :

<< ونقول لكم :سلّموا العلم بالكتاب والسنة وهدي السلف إلى مَن مارسها بالبصيرة النافذة، وتناولها بالذهن الوقاد والقريحة الحيّة، وأنفق فيها من عمره مثل ما أنفقتم في اللّهو واللّغو والتطبيل والتزمير[....] فهل يجب التسليم عندكم للمتخمر إذا تخمّر، فبث بالمقامات العليا من نبوية وملكية وألوهية...؟ وهل من محادة لله ورسوله العظيم من هذه ؟ وهل في مراتب الاستخفاف بالدين أسفل من هذه ؟ فهاتوا مخلصا من هذا، وهيهات أن تجدوه ولو كان الشيطان لكم نصيرا>>[1].

ذهب الإبراهيميّ في هذه الخطبة ينتقد طائفة من الجزائريين عدّوا أنفسهم من علماء السنّة وهم وبال على السنّة ويخاطبهم داعيا إيّاهم إلى تسليم العلم بالكتاب والسنّة وهدي السّلف من مارسها بالبصيرة النافذة، وتناولها بالذهن الوقاد والقريحة الحيّة، وأنفق من عمره مثل ما أنفقوا هم في اللهو واللغو والتطبيل والتزمير...ثمّ راح يوبخهم متسائلا : هل يجب – في عرفهم – التسليم لكل مدّع ، عبث بالمقامات العليا، وهل من مجادلة للرسول ورسوله العظيم من هذه؟ وهل من استخفاف بالدين أفضع من هذا الاستخفاف؟ ثمّ تحدّاهم أن يأتوا بمخلص من هذا.

تأسيسا على ما تقدّم نلاحظ أنّ الحمولة الدّلاليّة للأفعال الكلاميّة الإنجازية تتكوّن من :

– القوّة الإنجازيّة الحرفيّة تتمثّل في الفعل الكلاميّ الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة الأمر (افعلْ) في قوله : (سلّموا..هاتوا...)، وفي الفعل الكلاميّ الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة

[1]– البشير الإبراهيمي : الآثار، ج 1، ص 116.

الاستفهام بالأداة (هل)[1] في قوله : (هل يجب التسليم..؟، هل من محادة لله...؟، هل في مراتب الاستخفاف..؟).

– المحتوى القضويّ : خوض بعض المتفيقهين في أمور الدّين والسّنة بما لا يعلمون.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا من الفعل الكلاميّ الطلبيّ (الأمر) تتمثّل في التوبيخ والتقريع، ومن الاستفهام بالأداة (هل) التوبيخ والتقريع أيضا.

– الفعل التأثيريّ: يتمثّل في الحثّ على عدم الخوض في كتاب الله وسنّة رسوله دون علم عميق وبصيرة نفّاذة وعقل راجح.

النّموذج الثّاني :

وبمناسبة حفل تكريم ابن باديس في كلية الشعب ألقى الإبراهيمي كلمة جاء فيها :

<< أيّها الإخوان : هذا داء العالم البشري فأين دواؤه ؟ وهذا مرضه العضال فأين طبيبه؟ وهل يتداركه الله بلطفه فيهدي البشر إلى اتباع ما جاء به القرآن من تسامح وتعاون على الخير؟

فيا أيّها المشفقون على العالم الإنساني أن يأكل بعضه بعضا، انصحوه بالرجوع إلى الإسلام وكتابه يجد فيهما ظلال السلم وبرد الرحمة وعز القناعة وشرف التقوى ويتمتع من كل ذلك بنعمة الإسلام>>. [2]

بعد تذكير الإبراهيمي الحاضرين بمعاناة العالم من الكثير من الشّرور والآفات والأمراض، راح يضع اليد على داء العالم البشري ويتساءل متلهفا حيران عن دوائه. ويعيّن مرضه ويسأل عن الطبيب. ثم راح يبدي أمله في أن يتداركه الله من عليائه بلطفه فيهدي البشرية إلى اتباع هدي القرآن ودعواه إلى التسامح والتعاون على الخير. ثمّ خصّ المشفقين على العالم الإنساني داعيا إياهم إلى دعوة العالم الإنساني إلى الرجوع إلى الإسلام وكتابه فسيجد فيه نعمة السلم وبرد الرحمة وعزّ القناعة وشرف التقوى...

---

[1]– (هل) تستعمل لطلب التصديق فحسب، نحو : هل قام زيد؟. ينظر : القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح : عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط 1، 1904م، ص 156.

[2]– الآثار: ج 1، ص 364.

نلمح مما سبق يتّضح أنّ المحتوى الدّلاليّ للأفعال الكلاميّة يتكوّن من :

– المحتوى الإنجازيّ الحرفيّ : يتمثّل في صيغة النّداء (أيّها الإخوان، أيّها المشفقون) وغرضه التداولي لفت انتباه السامعين ، والفعل الكلاميّ المتمثل في الاستفهام بالأداة (أين)[1] ، وبالأداة (هل) في قوله : (أين دواؤه ؟، أين طبيبه ؟، هل يتداركه الله ...)، كما يتمثّل في الفعل الكلامي بصيغة الأمر (افعل) في قوله : (انصحوه..).

– المحتوى القضويّ، ويتمثّل في : الإسلام منهج حياة للإنسانية قاطبة ودواء كلّ أدوائها.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا من أسلوب النّداء تتمثّل في استمالة السامعين لسماع ما سيلقى عليهم من كلام، أمّا تلك المستلزمة من أسلوب الاستفهام فتتمثّل في إبداء الحيرة، والدّعاء في قوله: (هل يتداركه الله بلطفه ؟). أمّا القوّة المستلزمة من صيغة الأمر (انصحوه..) فتتمثل في التوجيه.

– الفعل التأثيريّ : الحثّ على الدّعوة إلى الله.

النّموذج الثّالث :

ومن خطبة ألقاها الإبراهيمي على إثر تلاوة الرئيس للتقرير الأدبيّ – ثلاث سنوات من عمر جمعية العلماء قوله :

<< وأنّى لها أن تجتمع، وإنّ أمامها في كل طريق ناعقا ينعق باسم طريق وداعيا يدعو إلى التفريق ؟ بل كيف نجتمع وللشيوخ فيها ما للذئاب الضارية في قطيع الغنم ؟ أم كيف تجتمع والشيوخ قد قسموها إلى مناطق نفوذ، وأحاط كل شيخ رعيته بأسرار منيعة من الترغيب والترهيب؟

كيف نجتمع وأتباع كل طريقة يعتقدون أنهم أهدى سبيلا من أتباع بقية الطرق، وأنّ طريقتهم تضمن لسالكها الغنى في الدنيا وحسن الخاتمة عند الموت، وإن قتل النفس التي حرّم الله بغير حقّ .

أم كيف نجتمع وفيهم من يرى من واجبات طريقته ومن شروط المحافظة عليها أن لا يصلي خلف طرقي آخر يخالفه الطريقة – وإن اشتركا في لقب الإسلام – لا لشيء سوى ذلك؟ [2].

---

[1]– (أينَ) : يستفهم بها عن المكان. ينظر : التافتازاني: المختصر، شرح التلخيص، تح: عجاج عودة برغش، دار التقوى، دمشق، ط 1، 1442 هـ – 2021م، ص 357.

[2]– آثار الإبراهيمي: ج 1، ص 139.

بمناسبة مرور ثلاث سنوات على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ألقى الإبراهيمي كلمة على مسامع الحاضرين، منها هذه الفقرة التي راح فيها يوجّه سهام نقده وتأنيبه وتوبيخه لفئة من الناس عديمي الصواب في الرأي والسداد في التفكير ممّن ذهب إلى أنّ الجمعية هي سبب فرقة الأمة واضطرابها وفتنتها. كما راح مبديًا تعجبه من ذلك مستبعدا إمكانية التئام الجمعية بسبب دعوى الفرقة، وكثرة أطماع ومآرب شيوخها، وذهابهم إلى تقسيمها إلى مناطق نفوذ، وإحاطتهم لأتباعهم ورعاياهم بأسرار منيعة من الترغيب والترهيب. وكيف تجتمع وكل فئة منها ترى نفسها أهدى من غيرها، وطريقتها ضامنة لغنى الدنيا وحسن الخاتمة من غيرها.

وممّا سبق يتّضح أنّ المحتوى الدّلاليّ للأفعال الكلاميّة يتكوّن من:

– المحتوى الإنجازيّ الحرفيّ: يتمثّل في صيغة الاستفهام بالأدوات (أنّى، كيف، أم)[1]، في قوله: (أنّى لها أن تجتمع ؟، كيف نجتمع ؟، أم كيف نجتمع ؟).

– المحتوى القضويّ، ويتمثّل في سياسة التفرقة التي سادت جمعية العلماء المسلمين بسبب أطماع ومآرب ونفوذ بعض شيوخها.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا: نلاحظ أنّ الاستفهام في هذه الخطبة خرج عن معناه الحقيقيّ إلى معانٍ مستلزمة مقاميّا تتمثّل في: إظهار السّخط والغضب ممّا ساد الجمعيّة، والتوبيخ والتقريع لأولئك الذين قدّموا مصالحهم ومآربهم على مصالح الجمعيّة وبقية أعضائها.

– الفعل التأثيريّ ويتمثل في: حثّ أعضاء الجمعية إلى رصّ الصفوف ونبذ التفرقة ودرء الأطماع والمصالح الشخصيّة خدمة لأهداف الجمعيّة.

[1]– (أنّى): تستعمل بمعنى (كيف)، وبمعنى (من أين)، (كيف): تستعمل للسؤال عن الحال. ينظر: التافتازاني، المختصر، شرح التلخيص، ص 365 – 366.

النّموذج الرّابع :

وفي تقرير عن الأمية ألقي في مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، نادي الترقي، العاصمة، سبتمبر 1935 خاطب البشير الإبراهيميّ الأعضاء الحضور:

<< فأين نسبتنا من هؤلاء؟ وأين مساعينا من مساعيهم؟ وأين خطباؤنا؟ لِمَ لا يحملون على الأميّة حملة شعواء ؟ ولِم لا يعطونها من الاهتمام ما أعطوه لقرن الثور وفضائل الشهور؟ وأين شعراؤنا ؟ لِم لا يشاركون في حملة منظمة ويدعون إليها بقصائدهم المثيرة المحركة ؟ وأين علماؤنا الذين برّأهم الله من داء الأميّة ؟ لماذا لا يسعون في تطبيب غيرهم منها ؟ أم هم يريدون أن تبقى الأمة أميّة ليبقوا سادات ومشايخ ؟ فإن كان هذا مرادهم فأنبئوهم عني أنه ليس من الشرف السيادة على طغام، والرعاية على أغنام .

وأين أغنياؤنا . يخرجون الأموال ويشيّدون المدارس ويقفون في مكافحة هذا الداء الفتّاك موقف الأبطال ؟>>[1].

ألقى الإبراهيميّ هذه الكلمة في مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بنادي الترقي بالعاصمة، شهر سبتمبر 1935م، وكان موضوعه متعلقا بموضوع الأميّة، استهلّها بالحديث عن شناعتها وقبحها وغضاضتها في عهود الحضارة كحال الجزائريين في ذلك الوقت، منوّها بالجهود المعقودة لمحاربة الأميّة على الصعيد العالميّ، ثمّ راح يتساءل عن جهود الجزائريين من هذه الجهود، وعن مساعيهم ضمن هذه المساعي، ثمّ تساءل عن جهود الخطباء والشّعراء والعلماء الجزائريين في هذا المجهود الجبّار، ويتساءل لماذا لا يولون اهتماما بهذا المجهود، كلّ في مجاله وفنه، ولماذا لا يسعون إلى علاج هذه الآفة والقضاء على آثارها، أم أنّهم يريدون أن تبقى دار لقمان على حالها ليبقوا سادة وقادة مشايخ لهذا الشعب. إن كان الأمر كذلك فهو يخبرهم أنه ليس من الشرف السيادة على أراذل القوم.

تأسيسا على ما تقدّم نلاحظ أنّ المحتوى الدّلاليّ للأفعال الكلاميّة يتكوّن من :

[1]– آثار الإبراهيمي، ج 1، ص 204.

– المحتوى الإنجازيّ الحرفيّ: يتمثّل الأفعال الكلامية الطلبية التي دلّ عليها صيغة الاستفهام بالأداتين (أين، ما) والفعل الكلامي الطلبيّ الذي دلت عليه صيغة الأمر (افعل) في قوله: (فأنبؤوهم عنّي أنّه...) .

– المحتوى القضويّ، تقصير فئات من أطياف الشّعب الجزائري عن محاربة الأميّة المستشريّة في الجزائر، كلّ في مجاله، وكلّ بأدواته وآلياته، وكذا تقصير أغنياء البلاد عن بناء المدارس للقضاء على داء الأميّة الفتّاك.

– القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميّا: القوّة المستلزمة مقاميّا من أسلوب الاستفهام تتمثّل في اللوم والعتاب الممزوج بالسخط والغضب. أمّا القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميا من صيغة الأمر فتتمثّل في تحقير صنيع بعض علماء الأمّة الذين يفضّلون بقاء على حالها من الجهل والأميّة حتّى لا تنافسهم في مكانتهم الاجتماعيّة.

– الفعل التأثيريّ: حثّ الشعب الجزائريّ بكل أطيافه على محاربة داء الأميّة الذي نخر جسم المجتمع الجزائريّ.

المبحث الرّابع : الأثر التّداوليّ لأسلوب النّداء

المطلب الأول : تعريف النداء – أدواته

النّداء هو<< طلب الإقبال حسّا أو معنًى بحرف نائب مناب " أدعو"، سواء كان ذلك الحرف ملفوظا أو مقدّرا >>[1]، وليس للنداء محتوى سوى تنبيه المنادي الفعل لغويّ آخر[2] ، بوصفه أوّل فعل كلاميّ يقوم به المخاطب لبث مقاصده، ووسيلة يتوصل بها لتبليغ التوجيهات[3].

وهو عند البعض بنية تنتج الإقبال حساً أو معنًى ، ويتحقق بحرف مولد من الفعل (أدعو أو أنادي)، وقد يكون الحرف ملفوظاً على مستوى السطح أو مضمراً على مستوى العمق[4]، فهو إذن توجيه دعوة إلى المخاطب، وتنبيهه إلى الإصغاء وسماع ما يريد المرسل[5].

فالنّداء له التأثير الكبير على المتلقي؛ لأنّه لا يؤتى به لمجرد الانتباه والإصغاء، فحسب وإنّما يؤتى به لتنفيذ فعل إنجازيّ ما عن طريقه؛ لذا دخل باب الأفعال الكلاميّة[6].

وفعل النّداء –إذن– من الناحية التداوليّة، هو فعل كلاميّ طلبيّ، صادر من مخاطب، وموجّه إلى مخاطب معنيّ بالكلام؛ ليحقق أغراضا إنجازيّة تتحدّد وفق السّياق الذي ترد فيه، ووفق الفعل الكلاميّ الذي يليه؛ ذلك أنّ الأفعال الكلاميّة في النّصوص، كثيرا ما تأتي في شكل فعل كلاميّ جامع للأغراض فيقترن النّداء بالأمر أو النّهي أو الخبر...

---

[1]– المغربي، ابن يعقوب : شرح التلخيص، مج 2، ،مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د ط)، (د ت)، ص 333.

[2]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 360.

[3]– ينظر: محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434 هـ – 2013 م، ص 177.

[4]– ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، لونجان للنشر، ط 2، 2007م، ص 299– 300.

[5]– ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، منشورات ضفاف، ط 1، بيروت، 1436 هـ – 2015م، ص 150.

[6]– المرجع نفسه، ص 151.

المطلب الثاني: الأثر التداوليّ لأسلوب النّـداء

ومن خطب الإبراهيميّ التي وظّف فيها أسلوب النّداء لأغراض إنجازيّة قوله في خطبة صلاة الجمعة بمسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة:

النّموذج الأوّل :

يا معشر الجزائريّين : إنّ الاستعمار كالشّيطان الذي قال فيه نبيّنا (ص) : " إنّ الشّيطان قد يئِسَ أن يُعبَدَ في أرضكم هذه، ولكنّه رضِيَ أن يُطَاعَ فيما دون ذلك"[...] ، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضّرورة يقدَّر بقدرها.

يا معشر الجزائريّين : إنّ الثورة قد تركت في جسم أمَّتكُم ندوبًا لا تندمل إلاَّ بعد عشرات السّنين، [...] فاشملوهم بالرّعاية حتّى ينسى اليتيم مرارة اليُتم [...]، وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان ....

يا إخواني : إنّكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس، [...] ، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستنزلكم الشّيطان، فتشَوّهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثّورة أو تَقضُوا على هذه السّمعة العاطرة >>[1].

استهلّ الإبراهيمي هذا المقطع من الخطبة بفعل كلام توجيهيّ (يا معشر الجزائريّين)، مخاطبا جموع الحاضرين في مسجد كتشاوة، قصد استمالتهم ولفت انتباههم، ثمّ أعقب ذلك بفعل كلامي تقريري واصفا المستعمر الفرنسي بالشيطان، مقتبسا هذا الوصف من حديث الرسول (ص)، ومؤكدا لهم على أنّ فرنسا خرجت من الجزائر لكنها ما تزال محافظة على مصالحها بين الجزائريين ومسيطرة على لسانهم، محتلّة موقعا مهمّا في قلوب بعضهم ، ثمّ أتبع ذلك بفعل كلاميّ طلبيّ توجيهيّ، دلّت عليه صيغة النّهي (لا تعاملوه) ناصحا وموجها ومحذرا إيّاهم من مغبّة التعامل معه إلّا في حدود الضرورة.

كما استهلّ المقطع الثاني بفعل كلاميّ طلبيّ توجيهيّ، دلّت عليه صيغة النداء (يا معشر الجزائريين) بغرض لفت انتباه السامعين أيضا، أعقب ذلك بفعل كلاميّ تقريري دلّت

[1]– البشير الإبراهيمي : الآثار، ج 5، ص ص 307 – 308.

عليه الأداة (إنّ)، مؤكدا على أنّ الثورة التحريرية تركت ندوبا لا زالت ظاهرة في جسم الأمّة، وختم المقطع بفعل كلاميّ طلبيّ، داعيا إيّاهم إلى مداواة هذه الندوب بيد العطف والحنان...

وبدأ المقطع الثالث أيضا، بفعل كلاميّ طلبيّ دلّت عليه صيغة النداء (يا إخواني..) وموظفا المنادى (إخواني..) لاستمالة السّامعين ودغدغة عواطفهم ببيان الرابطة القوية التي تجمعه بهم، ثمّ أتبع ذلك بفعل كلاميّ تقريري أكّد فيه على التضحيات الجسام التي دفعتها الجزائريون مقابل حرّيتهم، وختم ذلك بفعل كلاميّ طلبيّ توجيهيّ، منبّها ومحذرا إيّاهم من مغبّة تشويه محاسن الثورة التحريرة بسوء تدبيرهم.

والمتأمّل في هذا المقطع من خطبة البشير الإبراهيميّ يلاحظ أنّ الحمولة الدلالية لهذه الأفعال الكلاميّة الإنجازية تتكوّن من :

– القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، تتمثّل في الأفعال الكلاميّة التي دلّت عليها صيغة النّداء (يا معشر الجزائريين، يا إخوانيّ..)، والفعل الكلاميّ الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة النّهي (لا تعاملوه..)، والفعل الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة الأمر (افعلْ) في قوله : (أشملوا، احذروا، امسحوا..).

– المحتوى القضويّ : دعوة إلى الحذر من المستعمر السابق، وعلاج مخلّفات المستعمر والمحافظة على سمعة الثورة التحريرة المباركة.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا تتمثّل في استمالة السامعين ودغدغة مشاعرهم، وفي التحذير من المستعمر الغاشم، والحث على تخفيف مخلفات الاستعمار وندوبه والمحافظة على محاسن الثورة التحريرة بحسن التدبير.

– القوّة الإنجازيّة التأثيريّة تتمثّل في التحذير من غدر مستعمر الأمس والعمل على القضاء على مخلفاته بسياسة حكيمة.

النّموذج الثّاني:

وإثر وفاة العلّامة الجزائري محمد بن شنب، ألقى البشير الإبراهيمي كلمة تأبينيّة مؤثّرة جاء فيها :

<< يا ساكن الثرى إنّ ذكراك هي الشعاع الهادي لهذه الطائفة فيما يعرض لهم من شؤون الحياة وتجاربها....

يا ساكن الثرى ومستبدل الغربة بالأهل، هذه الجزائر تناجيك بلسان طائفة من أبنائها البارين بك وبها..

يا ساكن الثرى نَمْ هنيئا في جوار ربك، فهذا آخر العهد بشخصك الكريم ولكنه ليس آخر العهد بآثارك الخالدة.

وإنّا عليك يا محمّد لمحزونون>>.[1]

هذه كلمة تأبينيّة ألقاها الإبراهيمي لحظة مواراة العلّامة الجزائريّ " محمّد ابن شنب " الثرى، أستهلّها بفعل كلاميّ طلبيّ، دلّت عليه صيغة النّداء (يا ساكن الثرى، يا ساكن الثرى، يا ساكن الثرى)، مخاطبا الفقيد، وقد ووري التراب، ثمّ أعقب ذلك بفعل كلاميّ تقريريّ دلّت عليه القرينة (إنّ) مؤكّدا على دوام ذكراه شعاعا يهدي الجزائريين فيما يعرض لهم من شؤون حياتهم وتجاربها، ثمّ وظّف فعلا كلاميّا طلبيّا، دلّت عليه صيغة الأمر (نَمْ ...)، نائبا عن طائفة من أبناء الجزائر البررة، مطمئنا الفقيد على بقائهم أوفياء لذكرى الفقيد ولأثاره الخالدة، ومعبّرا عن حزنهم الصادق لفراقه.

وتأسيسا على ما سبق، نلاحظ أنّ الحمولة الدلاليّة لهذه الأفعال الكلاميّة الإنجازية تتكوّن من :

– القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، تتمثّل في الأفعال الكلاميّة التي دلّت عليها صيغة النّداء (يا ساكن الثرى..)، والفعل الكلاميّ التقريريّ (إنّ ذكراك...، هذه الجزائر...)، والفعل الكلامي الطلبي الذي دلّت عليه صيغة صيغة الأمر (فَعْ) في قوله : (نَمْ هنيئا...).

[1]– الآثار، ج 1، ص 49.

– المحتوى القضويّ: فقدان الجزائر لقامة علمية ورجل فذّ ستظلّ ذكراه ومناقبه ماثلة في قلوب وعقول الجزائريين.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا تتمثّل في إظهار الحزن والأسى لفقدان العلامة محمّد بن شنب.

– القوّة الإنجازيّة التأثيريّة الحثّ على حفظ عهد وآثار عظماء الأمّة وتخليدها.

النّموذج الثّالث :

ويخاطب البشير الإبراهيميّ الشّباب في أحد أندية الشباب بالقاهرة قائلا :

أيّها الشّباب : إنّ الشّباب نسب بينكم ورحم وجامعة، ولا مؤثّر في الشباب إلّا الشّباب، فليكن بعضكم لبعض إماما، ولْيعلم المهتدون الضُّلّال.

دينكم – أيّها الشباب – لا يفتنّكم عنه ناعق بإلحاد، ولا ناع بتنقّص.

وربّكم – أيّها الشّباب – لا يقطعنّكم عنه خنّاس من الجنّة والنّاس.

وكتاب ربّكم – أيّها الشّباب – هو البرهان والنور، وهو الفلج والظهور، وهو الحجّة البالغة، والآية الدامغة، فلا يزهدنّكم فيه زنديق يؤول وجاهل يعطل ومستشرق خبيث الدخلة، يتخذه عضين، ليفتن الغافلين، ويلبس على المستضعفين.

يخصّ الإبراهيمي الشّباب بهذا الخطاب مؤكّدا لهم أنّ الشّباب نسب بينهم وصلة رحم وأواصر تجمع بينهم، ثمّ دعاهم أن يؤمّ بعضهم بعضا، وأن يعلّ الهادي منهم الضّال. ثمّ انتقل إلى إغرائهم بالتمسّك بدينهم وبتعاليم خالقهم والاهتداء بهدي قرآنهم، محذرا إيّاهم من دعوى الإلحاد، وفتنة الوسواس الخنّاس، ومرشدا إياهم إلى أنّ القرآن الكريم هو النور والصراط المستقيم، فلا يتركوا الجهلة والزنادقة يزهدونهم في دينهم ويفسدون عليهم عقيدتهم.

وممّا تقدّم نلاحظ أنّ المحتوى الدلالي للأفعال الإنجازية يتكوّن من :

– المحتوى الإنجازيّ الحرفيّ، ويتمثّل في الفعل الكلامي الطلبيّ الذي دلّت عليه صيغة النّداء (أيّها الشّباب) المكرّرة ثلاث مرّات والتي تفيد لفت انتباه الشباب واستمالتهم إلى سماع ما سيلقى عليهم، والفعلين الكلاميين الطلبيين الذين دلّت عليهما صيغة المضارع المقترن

بلام الأمر (فليكن، ليعلّم..)، وأسلوب الإغراء[1] المحذوف فعله في قوله : (دينَكم...، ربّكم...، كتابَ ربّكم..) والتقدير فعل الأمر (إلزمْ).

– المحتوى القضويّ، ويتمثل في: دعوة الشبا إلى الاتحاد ونبذ التفرقة والتمسك بعقيدتهم وقرآنهم.

– القوّة الإنجازيّة المستلزمة مقاميّا: تتمثّل في النّصح والتوجيه .

– القوّة الإنجازيّة التأثيريّة: تتمثل في حثّ الشباب على الاتحاد والتمسّك بدينهم .

[1]– الإغراء : " هو تنبيه المخاطب على أمر محبوب ليفعله ". وحكم المغرى به هو النصب وجوبا على أنه مفعول به لعامل محذوف مع مرفوعه وجوبا. ينظر : السيوطي، همع الهوامع، تح : عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ج 3، ص 27.

خاتمـــــــة

خاتمـــــــــــة :

أفضت هذه الدّراسة إلى النّتائج الآتية :

– تعتبر اللسانيات التداولية امتدادا للسانيات البنيوية فهي مكملة لها، فإذا كانت اللسانيات البنيوية تهتم باللغة كنظام، فإنّ التداولية تهتم بالكلام في سياقاته الثقافية والاجتماعية ومقاصد المتكلمين.

– المنهج التداولي في إنتاج الخطاب يتجاوز المستوى الدلالي، ويبحث في علاقة العلامات بمؤوليها وذلك بدراسة اللغة عند استعمالها مع مراعاة مقاصد المتكلمين.

– تعتبر الأفعال الكلامية أسَّ التداولية، ويعتبر الفعل الإنجازيّ جوهر نظرية أفعال الكلام.

– نظرية أفعال الكلام تنطلق من أنّ هناك ترابطا قائما بين بنية اللغة وبين وظيفتها التواصلية، فهناك تفاعل حاصل بين الشكل اللغويّ والمقام.

– درس العلماء العرب القدماء الأفعال الكلاميّة ضمن مباحث الخبر والإنشاء وكان بعض البلاغيّين منهم تداوليين في طروحاكم، بحيث راعوا الاستعمال والسّياق اللغويّ والمقاميّ ومقاصد المتكلمين؛ وأحوال المخاطبين، كما راعوا مبدأ الإفادة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال. ودرسوا الحمولة الدلالية للأساليب الخبريّة والإنشائيّة ومعانيها الأصليّة والفرعيّة؛

– تنوّعت الأفعال الكلامية في خطب البشير الإبراهيمي، حيث احتلت الأفعال الإخباريّة المرتبة الأولى، باعتبار جزءا كبيرا من خطبه يهدف إلى تقرير حقائق ووقائع..أمّا الأفعال التوجيهيّة الطلبيّة فحظّها قليل من الأفعال الكلاميّة في خطبه...

– طغت على النماذج المدروسة من خطب البشير الإبراهيمي الأساليب الإنشائية التي تتميز بالحيوية والتفاعل، وتجعل من الفعل الكلاميّ فعلا إيجابيا تتحقق فيه حضوريا عناصر عملية الاتصال الأساسية بين المرسل والمرسل إليه والرسالة، أضف إلى ذلك أنّ عملية الاتصال كانت تتم مشافهة.

– إكثار الخطيب من الأفعال التوجيهية الطلبية المعتمدة على أسلوبي الأمر والنّهي يعكس سلطته الاجتماعيّة الإصلاحيّة التوجيهيّة التي ينطلق منها، فهو حامل لرسالة تربويّة توجيهيّة إلى الفئات المعنية بخطابه، باختلاف فئاتهم ومقامات هذه الخطب.

– خرجت الكثير من الأفعال الكلاميّة الطّلبيّة إلى معانٍ إنجازيّة غير مباشرة يفسرها المقام الذي وردت فيه، كخروج الأمر والنّهي إلى النصح والتوجيه والتوبيخ والتقريع...؛

– الأساليب التوجيهية التي عمد فيه إلى أسلوب الاستفهام، خرجت عن معنى الاستفهام الحقيقيّ إلى معانٍ تُستفاد من السياق وقرائن الأحوال، كالتوجيه والتوبيخ، والتقريع، وإظهار الحيرة، والسّخط، والغضب، والتحقير...

– يعدّ النداء من قبيل الفعل الإنجازيّ المركّب، فالجملة الندائية تتكّون من المنادى وجواب النّداء، فالمنادى يؤدي وظيفة التنبيه والنداء، بينما جواب النّداء أو مضمون النّداء قد يكون أمرا أو نهيا أو خبرا، وقد يخرج إلى دلالات غير مباشرة مستلزمة مقاميّا كالنّصح، والتوجيه، والتقريع، وإظهار الأسى والحزن...

وكخلاصة لما سبق نستطيع القول إنّ نظريّة الأفعال الكلاميّة لـ سورل هي إسهام مهمّ في فهمنا للغة وكيف نستخدمها، وعلى الرّغم من بعض الانتقادات إلّا أنّها قدمت إطارا مفيدا لتحديد وظائف اللغة المتنوعة في سياقاتها التّواصليّة.

قائمة المصادر والمراجع

❖ قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم برواية ورش.
- البشير الإبراهيمي: الاثار، ج 1، دار الغرب الإسلاميّ، ط 1، 1997م.

❖ **الكتب العربيّة :**

01- أدراوي، العياشي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011.

02- بوجادي، خليفة : في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2009.

03- التافتازاني: المختصر، شرح التلخيص، تح : عجاج عودة برغش، دار التقوى، دمشق، ط 1، 1442 هـ - 2021م.

04- الجرجاني، الشريف: التعريفات، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، 2000م.

05- الجرجاني، محمد بن علي: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح : عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، (د ت).

06- جميل صليبا : المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ط 2، بيروت، لبنان، 1982 .

07- حسن، عباس: النحو الوافي، ج 1، دار المعارف، ط 3، القاهرة، مصر، 1974.

08- حمو الحاج، ذهبية : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، تيزيوزو، (د ط)، 2005.

09- ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016.

10- سعودي نواري أبو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط 1، 2009.

11- السكاكي : مفتاح العلوم، تع : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، لبنان، 1407 هـ - 1987م.

12- السيد، عبد الحميد: دراسات في اللسانيات العربية، التراكيب النحوية والتداولية، دار الحامد، عمان، الأردن، 2003م.

13- السيوطي، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن، تع : محمد شريف سكر، ج 2، دار إحياء العلوم، ط 1، بيروت، 147 هـ - 1987م.

14- السيوطي، جلال الدين : همع الهوامع، تح : عبد العال سالم مكرم، ج 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

15-الشنقيطي، خديجة محفوظ : المنحى التداولي في التراث اللغوي، الأمر والاستفهام نموذجان، عالم الكتب الحديث، ط 1، الأردن، 2016م.

16- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغويّة تداولية، دار الكتاب الجديد، ط 1، بيروت، 2004.

17- صادق، مثنى كاظم : أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، منشورات ضفاف، ط 1، بيروت، 1436 هـ - 2015م.

18- صبحي، محمد الأخضر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاتها، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008.

19- صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط 1، بيروت، لبنان، 2005.

20- الصراف، علي حجي: في البرجماتية (الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431 هـ - 2010م.

21- صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرية أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.

22- طه عبد الرحمن : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2000.

23- العلوي، يحي بن حمزة: الطراز، تح: عبد الحميد هنداوي، ج 3، المكتبة العصرية، ط 1، القاهرة، 1423 هـ - 2002م.

24- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النصّ، دار الكتاب اللبناني، ط 1، بيروت، (د ت).

25- القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2002م.

26- القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح : عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، ط 1، 1904م.

27- المغربي، ابن يعقوب : شرح التلخيص، مج 2، ،مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د ط)، (د ت).

28- المبرد: المقتضب، تح : محمد عبد الخالق عظيمة، ج 2، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ط 2، 1994،

29- عبد المطلب، محمد ، البلاغة العربية قراءة أخرى، لونجان للنشر، ط 2، 2007م.

30- نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)، 2002.

31- ابن يعيش: شرح المفصل، تقد : إميل بديع يعقوب، ج 4، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2001م.

❖ **الكتب المترجمة :**

32- آن رويول، جاك موشلار: التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 3، 2001.

33- جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، د، م، ح، 1992.

34- فان ديك : علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط 1، 2001م.

35- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر : سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.

36- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة : عباس صادق الوهاب، مراجعة : يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، بغداد، 1987.

❖ **الأطاريح والمذكرات :**

37- بوادي، محمد: خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم – مقاربة تداولية، أطروحة دكتوراه، تخصص: معجمية وقضايا الدلالة، جامعة سطيف، 2016.

38- خلوفي قدور: مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني – سورة الكهف أنموذجا، أطروحة دكتوراه في تخصص اللسانيات التداولية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014 – 2015.

39- سلفاوي، أم الخير: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال " مفتاح العلوم " للسكاكي، مذكرة ماجستير، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة قاصدي مرباح، 2009م.

40- لعور، آمنة: الأفعال الكلامية في سورة الكهف، مذكرة ماجستير، شعبة دراسات لغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011.

41- مدور، محمد : الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434 هـ – 2013 م.

42- يحي، ريمة : المقصدية في الخطاب الشعريّ، أطروحة دكتوراه، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة باتنة 1، 2020- 2021م.

❖ **الدوريّات :**

43- بكري، راضية خليف: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 399، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، تموز 2004م.

44- الزواوي بغورة : العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، العدد 3، المجلد 35، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2007.

45- بن عيسى، عبد الحليم : المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، دورية فصلية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، جامعة وهران، الجزائر، العدد 1، 2008.

46- ياسر رجب عز الدين: الأفعال الكلامية في سورة يونس، المجلة العلمية، جامعة الأزهر، العدد 36، مايو، 1444هـ - 2022م.

❖ **المعاجم والقواميس :**

47- ابن فارس : مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، مج 2 ،.دار الجيل، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

48- الفيروزآبادي : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 8، بيروت، لبنان، 2008.

49- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دول) ، ج 11 ، دار صادر ، بيروت ، ط 3 ، 1414 هـ ،

❖ **كتب التفسير :**

50- السعدي، عبد الرحمان بن ناصر: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ، تح : عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000.

51- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح : سامي محمد سلامة، ج 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999.

- **الملاحـــق :**

نبذة عن حياة الإبراهيمي :

هو محمد البشير بن محمد السعدي طالب الإبراهيمي ولد يوم 14 جوان من عام 1889 برأس الوادي في نواحي سطيف، من أسرة علم وتقوى [1]، وهو من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي ، ومن العلماء العاملين في الجزائر من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ترأسها بعد وفاة العلاّمة عبد الحميد بن باديس، اشتغل بالكتابة وإلقاء الخطب والدروس والأسفار للاطلاع على شؤون مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لم يترك البشير الإبراهيمي بصمة في الفكر الأدبي الجزائري وحسب، وإنّما الفكر العربي والاسلام والعالمي بمؤلفات عدة لم يتمكن من كتابة المزيد وذلك لإنشغاله بإلقاء الخطب في المساجد و مناسبات جمعية العلماء المسلمين إذ يقول حينما سئل في أواخر حياته عن عدم تأليفه للكتب : " لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني اتسلى بأنني ألفت للشعب رجالاً ، وعملت لتحرير عقوله تمهيداً لتحرير أجساده ، وصححت له دينه و لغته " [2] .

ألف البشير الابراهيمي في الأدب واللغة والدين والشعر :

- إسرار الضمائر العربية .
- التسمية بالمصدر .
- الإطّراد والشذوذ في اللّغة .
- كاهنة أوراس (رواية حول الكاهنة) .
- رسالة الصبْ .
- رواية الثلاثة .

---

[1]– بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989 – ج1 , دار المعرفة – الجزائر , 2006، ص 411.

[2]– االمصدر نفسه , ص 421 .

- ملحمة رجزية في 3600 بيت حول تاريخ الإسلام و الجزائر.
- بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية في الجزائر .

- حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام .
- شعب الايمان .
- من آثاره (منشورة) في أربعة أجزاء وهي مجموع مقالاته في مختلف الجرائد والصحف

- **وفاته :** توفي الشيخ البشير الإبراهيمي يوم 20 ماي 1965 [1] ، ووري التراب بمقبرة سيدي محمد بالعاصمة .

---

[1]- بشير بلاح : تاريخ الجزائر المعاصر , المصدر السابق , ص 422 .

نموذج من خطب البشير الإبراهيمي (خطبة كتشاوة)

وهي خطبة ألقاها الخطيب في جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة في الثاني من نوفمبر 1962 و هي الخطبة الأولى التي أقيمت بعد استقلال الجزائر، فكانت بمثابة رسالة للأمة الجزائرية .

" الحمد لله ثم الحمد لله تعالت أسماله وتمت كلماته صدقا وعدلاً ، لا مبدل لكلماته، جعل النصر يتنزل من عنده على من يشاء من عباده حيث يبتليهم فيعلم المصلح من المفسد، ويعلم صدق يقينهم وإخلاص نياتهم ، وصفاء سرائرهم ، وطهارة ضمائرهم.

سبحانه وتعالى جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل ، وأنتج من المتضادات أضدادها، فأخرج القوة من الضعف ، وولد الحرية من العبودية ، وجعل الموت طريقا إلى الحياة، وما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا ، وبايعه عباده المؤمنون الصادقون على الموت، فباءوا بالصفقة الرابحة، و ﴿ اشترى من المؤمنين أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَاهُم بأن لهم الجنة يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حقا ﴾ ...

سبحانه تعالى جده، تجلى على بعض عباده بالغضب والسخط ، فأحال مساجد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث، وتجلى برحمته ورضاه على آخرين فأحال فيهم كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد، وما ظلم الأولين ولا حابى الآخرين، ولكنها سنته في الكون وآياته في الآفاق يتبعها قوم فيفلحون، ويُعرض عنها قوم فيخسرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شرع الجهاد في سبيل الله ، وقاتل لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحق في نصابه وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه، وجعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطا بالإيمان والصبر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل متبع لهداه، داع بدعوته إلى يوم الدين.

ونستنزل من رحمات الله الصَّيبة، وصلواته الزاكية الطيبة لشهدائنا الأبرار ما يكون كفاء لبطولاتهم في الدفاع عن شرف الحياة وحرمات الدين وعزة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن.

وأستمد من الله اللطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء ممن ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتحيف لأموالهم.

وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألفة تجمع الشمل، ووحدة تبعث القوة، ورحمة تضمد الجراح، وتعاوناً يثمر المنفعة، وإخلاصا يهون العسير، وتوفيقا ينير السبيل، وتسديدا يقوم الرأي ويثبت الأقدام، وحكمة مستمدة من تعاليم الإسلام وروحانية الشرق وأمجاد العرب، وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كل داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكل ساع يسعى إلى التفريق والتمزيق وكل ناعق ينغق بالفتنة والفساد.

ونحيي بالعمار والثمار والغيث المدرار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسميها الجزائر، والتي فيها نبتنا، وعلى حبها ثبتنا، ومن نباتها غذينا وفي سبيلها أوذينا.

أحَبّيكَ يَا مَغْنَى الكَمَالِ بِوَاجِبِ وَ أُنْفِقُ فِي أَوْصَافِكَ الغُزِ أَوْقَانِي

يا أتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنور، وهذا هو اليوم الأغر المحجل، وهذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو العزة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في مفرقها، والصحيفة المذهبة الحواشي والطرر من كتابها.

وهذا المسجد هو حصة الإسلام من مغانم جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذممكم، أضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين، وهذه بضاعتكم ردت إليكم، أخذها الاستعمار منكم استلابا، وأخذتموها منه غلاباً، بل هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد، وعاد إلى التوحيد فالتقيتم جميعا على قدر.

إنّ هذه المواكب الحاشدة بكم من رجال ونساء يغمرها الفرح، ويطفح على وجوهها البشر لتجسيم ذلك المعنى الجليل، وتعبير فصيح عنه، وهو أن المسجد عاد إلى الساجدين الركع من أمة محمد، وأن كلمة لا إله إلا الله عادت لمستقرها منه كأن معناها دام مستقرا في نفوس المؤمنين، فالإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله إلا الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهله، وهو الذي أتى بالعجائب وخوارق العادات في هذه الثورة.

وأما والله لو أن الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحق من دون نصب , لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال.

يا معشر الجزائريين : إذا عدّت الأيام ذوات السمات، والغرر والشيات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرة وأثبتها تمجيدا، فاعجبوا لتصاريف الأقدار، فلقد كنا نمر على هذه الساحة مطرقين، ونشهد هذا المشهد المحزن منطوين على مضض

يصهر الجوانح ويسيل العبرات، كأن الأرض تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا، وبما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا، فلا نملك إلا الحوقلة والاسترجاع، ثم نرجع إلى مطالبات قولية هي كل ما نملك في ذلك الوقت، ولكنها نبهت الأذهان، وسجلت الاغتصاب، وبذرت بذور الثورة في النفوس حتى تكلمت البنادق .

أيها المؤمنون: قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون ذلك غريبا، لأن البإي مما ركب في غرائزه، وقد يبغي الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا لأن في الإنسان عرقا نزاعا إلى الحيوانية وشيطاناً نزاغا بالظلم، وطبعا من الجبلة الأولى ميالا إلى الشر، ولكن العجيب الغريب معا، والمؤلم المحزن معا، أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته.

يا معشر المؤمنين : إنكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان ساعة ثم تنقضي، ولكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدل عليها المسجد في الإسلام ووظائفة التي كان يؤديها من إقامة شعائر الصلوات والجمع والتلاوة ودروس العلم النافعة على اختلاف أنواعها، من دينية ودنيوية، فإن المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة.

أيها المسلمون: إن الله ذم قوما فقال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ﴾، ومدح قومًا فقال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله وَالْيَوْمِ الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله , فَعَسَى أَوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾.

يا معشر الجزائريين : إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هذه، ولكنهُ رَضِيَ أَنْ يُطاعَ فِيمَا دُونَ ذَلِك "، فهو قد خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

يا معشر الجزائريين: إن الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوبا لا تندمل إلا بعد عشرات السنين، وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوهين، الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل، فاشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليتم وتنسى الأيم حرارة الثكل، وينسى المشوه أنه عالة عليكم، وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم .

يا إخواني إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس، وإنكم اشتريتم حريتكم بالثمن الغالي، وقدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمة شعب من شعوب الأرض قديما ولا حديثا، وحزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يخزه شعب ثائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة.

إن حكومتكم الفنية منكم، تلقت تركة مثقلة بالتكاليف والتبعات في وقت ضيق لم يجاوز أسابيع، فأعينوها بقوة، وانصحوها في ما يجب النصح فيه بالتي هي أحسن، ولا تقطعوا أوقاتكم في السفاسف والصغائر، وانصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح والتجديد، والبناء والتشييد، ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها مَنْفَذًا يَدْخُلُ مِنْهُ، ولا لحظوظ النفس بينكم مدخلاً.
وفقكم الله جميعا، وأجرى الخير على أيديكم جميعًا، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقُلُوبَكُم على المحبة لأبناء الوطن، وجعلكم متعاونين على البر والتقوى غير متعاونين على الإثم والعدوان.

قال تعالى : ﴿ وعد الله الذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وليمكِنن لهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لهم وليبدلنهم من بَعْدِ خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وهو الغَفُورُ الرَّحِيم .
خطبة كتشاوة أخذت من أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي الجزء الخامس 1945 – 1964 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدّمـــــــة	أ – د
الفصل الأول : مفاهيم في اللسانيات التداولية الغربية و البلاغة العربية القديمة	
المبحث الأول : ماهية التداولية	6
المطلب الأول : التداولية لغة واصطلاحا..	6
المطلب الثاني : مباحث التداولية	13
المبحث الثاني : نظرية أفعال الكلام في الدرس اللغوي الغربي و في الدرس العربي	21
المطلب الأول : نظرية أفعال الكلام في الدرس اللغوي الغربي	21
المطلب الثاني : نظرية أفعال الكلام في البلاغة العربية	30
الفصل الثاني : الأثر التداولي للأساليب الإنشائية الطلبية في خطب البشير الإبراهيمي	
المبحث الأول : الأثر التداولي لأسلوب الأمر	37
المطلب الأول : مفهوم الأمر و صيغه	37
المطلب الثاني : الأثر التداولي لأسلوب الأمر	39
المبحث الثاني : الأثر التداولي لأسلوب النهي	49
المطلب الأوّل : تعريف النّهي – صيغته	49
المطلب الثاني : الأثر التداولي لأسلوب النّهي	50
المبحث الثالث : الأثر التداولي لأسلوب الاستفهام	58

فهرس الموضوعات

المطلب الأوّل : تعريف الاستفهام، أدواته	58
المطلب الثاني : الأثر التداولي لأسلوب الاستفهام	59
المبحث الرابع : الأثر التداولي لأسلوب النداء	65
المطلب الأوّل : تعريف النّداء، أدواته	65
المطلب الثاني : الأثر التداولي لأسلوب النّداء	66
الخاتمة	72
الملحق	75
قائمة المصادر و المراجع	83

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن البعد التداولي في خطب الإمام محمح البشير الإبراهيمي، حيث اعتمدت على استخراج الأفعال الكلامية وتوضيح صيغها وأغراضها الإنجازية، معتمدة في ذلك على تصنيف **سورل**؛ الذي قسّمها إلى خمس أصناف: الإخباريات – التوجيهيات – الإلزاميات – التعبيرات – الإعلانات، كما اهتمّت الدّراسة بتقصي استخدام الأفعال الكلاميّة وطريقة عرضها في خطب الإبراهيميّ.

وحتّى نتمكّن من الوصول إلى مقصدنا، قسّمنا هذا البحث إلى فصلين: الأوّل نظري تناولنا فيه مفاهيم في اللسانيات التداولية الغربية والبلاغة العربية القديمة، والثاني تطبيقيّ تضمّن استنطاق أفعال الكلام في خطب الإبراهيميّ، للتعرّف على الأثر التداوليّ للأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في نماذج من خطب البشير الإبراهيمي وتبيان قوتها الإنجازية، ومدى تحقق أثرها معتمدين في ذلك على تقسيم سورل .

This study aimed to uncover the pragmatic dimension in the sermons of Imam Mahmud al-Basheer al-Ibrahimi. It relied on extracting speech acts and clarifying their forms and performative purposes, relying on Sorel's classification, which divided them into five categories: declaratives, directives, imperatives, expressions, and declarations. The study also focused on investigating the use of speech acts and their presentation in al-Ibrahimi's sermons. To

achieve our goal, we divided this research into two chapters: the first, theoretical, in which we addressed concepts in Western pragmatic linguistics and ancient Arabic rhetoric. The second, applied, included an interrogation of speech acts in al-Ibrahimi's sermons, to identify the pragmatic impact of imperative constructions in examples of al-Basheer al-Ibrahimi's sermons, demonstrate their performative power, and the extent to which their impact is realized, relying on Sorel's classification.